19 me, année No 923
Le Caire 12 - 3 - 1951

بدل الاشتراك عن سنة
ــصـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما
الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات
الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٢٣ «القاهرة فى يوم الاثنين أول جمادى الآخرة سنة ١٣٧٠ — ١٢ مارس سنة ١٩٥١» السنة التاسعة عشرة

عبد العزيز فهمى باشا

حم قضاء الله ومضى الرجل العظيم مستقبلاً وجه الخلود !

والرجولة والعظمة صفتان تجمعان ما أوتى عبد العزيز فهمى باشا من مناقب مصدرها خلقه، ومواهب مظهرها عمله. كان رجلا بالمعنى الرفيع الذى يفهمه المهذب من لفظ الرجل؛ وكان عظيما بالمعنى الجميع الذى يدركه المثقف من كلمة العظيم. ولو ذهبت تحلل حياة أول القضاة فى سجل القضاء، وثانى الزعماء فى سجل السياسة إلى عواملها الأولية، لوجدتها فى الخلال الصدق والصراحة والإباء والشجاعة وهذه هى الرجولة، وفى الأعمال العمق والشمول والاتقان والتفرد وهذه هى العظمة. وفقد رجل كهذا الرجل حياته تاريخ، وعمله رسالة، وخلقه قدوة، وكفايته ثروة، خسارة إنسانية لا خسارة قومية، ومصاب أمة لا مصاب أسرة، وفجيعة منفعة لا فجيعة عاطفة. فإذا جزع الشعب لموته هذا الجزع فإنما يجزع لركن هوى لا لغصن ذوى، ولجهاد مضى لا لصديق قضى. والجزع على العظماء لا يكون بالعبرات التى تطفئ، وإنما يكون بالحسرات التى تحرق. والخطب الذى يبكى العيون، أهون من الخطب الذى يدمى القلوب. ومن يقف أمام الحصن الذى ينسف، أو الكنز الذى يخسف، يجد فى نفسه الروع الذى يذهل، لا الحزن الذى يهول

كان عبد العزيز فهمى جزءاً ضخماً من ثروة مصر العلمية. وهذه الثروة لا تزال من حيث الكيف ضئيلة. فإن العباقرة الذين هيأتهم إلى العلم الصحيح طبائعهم الحرة وملكاتهم الأصيلة لا يزالون بيننا آحاداً. وقلّ من هؤلاء الآحاد من جمع إلى العلم سمو العالم ونزاهة المصلح كما جمعها الفقيد. واجتماع هذه المزايا فيه لا يعلله معلل من نشأته وبيئته ودراسته. فإن هذه العوامل نفسها أو شبهها أثرت فى غيره من أهل جيله، ولكن مصر لم تظفر من بينهم بمثيله. هنالك أمر قد يكون مفتاح السر وطريق المجهول: ذلك أنه تلقى دراسته الأولى فى الأزهر كما تلقاها فيه محمد عبده وسعد زغلول وابراهيم الهلباوى. وهؤلاء جميعاً قد تشابهوا فى قوة الشخصية ونفوذ العقلية؛ فدرسوا الفقه بعمق، وعالجوا البيان بحذق، وزاولوا المحاماة ببراعة، وتولوا القضاء بجدارة، ومارسوا السياسة بخبرة. ولكنه انفرد من دونهم جميعاً بخصائص خلقية جعلت ذلك التشابه تغايراً فى بعض نواحى الرجولة. كان رحمه الله لا ينافق ولا يمالق، ولا يداهن ولا يداجى، ولا يدلس ولا يلبّس؛ ولا يقول إلا مايصح فى معتقده، ولا يعتقد إلا مايصح فى رأيه. وهذه الصفات قد تجعل المصلح عظيما، ولكنها لا تجعله زعيما. وأريد بالزعامة هنا زعامة العامة لا زعامة الخاصة، فقد كان الفقيد زعيما فى المحاماة، وزعيما

فى القضاء، وزعيما فى التشريع، وزعيما فى الشورى؛ وفى كل هذه الأمور كان هو وسعد يتساوران الأولية. فلما دخلا معا ميدان السياسة، دخلها هو بعقل القاضى ولسان المحامى. والقاضى أداته قانونه ونزاهته، والمحامى آلته دليله وبلاغته. وإذا تجهزت للزعامة السياسية فى أمم الشرق بالقانون والضمير والمنطق والصراحة والصدق، هاجك خصمك بالأباطيل الناشية فيظهر عليك، ووقف منك جمهورك على الحقائق العاوية فينفر منك. لذلك كان حظ عبد العزيز من القضية المصرية على فصاحته فى الخطابة وبلاغته فى الكتابة، حظ القائد الحكيم الذى توضع الخطط على رسمه، لا حظ القائد الزعيم الذى تتوج (الأرامر) باسمه. وظل طول عمره السياسى راضيا بهذا الحظ حتى عجز آخر الأمر عن التوفيق بين هواه والعامة، وبين خلقه والسياسة، وبين ضميره والحكم، فارتد إلى القضاء وقد آتاه الله فيه الحكمة وفصل الخطاب، فوضع المبادئ، وقرر الأحكام، وأضاف إلى الفقه المصرى مادة ضخمة من علمه وحكمه زادت فى ثروته ورفعت من قيمته

ثم اختير بعد اعتزاله للقضاء عضواً فى مجمع فؤاد الأول للغة العربية، فأخلى ذرعه للنظر فى علوم اللغة والأدب بعين الفقيه المجتهد والأديب الناقد، حتى بلغ منها مبلغ الأعلام الذين وقفوا على تحصيلها العمر والجهد. وتقدم إلى المجمع بمشروع اقتباس الحروف اللاتينية للكتابة العربية، مقرونا بالأسباب، معززا بالمزايا، مؤيدا بالأسانيد ثم أعقبه بكتاب ألفه فى الرد على معارضيه ومنتقديه، جمع إلى بلاغة الأسلوب قوة العرض ومتانة الحجة، فكان آية على سمو طبقته فى الكتابة وبعد غايته فى الأدب. فلما أقعدته العلة رضوان الله عليه كانت غرفة مرضه ملتقى أقطاب الفقه والأدب والسياسة، يستفيدون من علمه، ويستزيدون من أدبه، ويستضيئون بفكره؛ وهو فى كل ما يعرض عليه أو يتعرض له طلق البديهة، محكم الرأى، جيد الاستنباط، حاضر الدليل.

كنت فيمن يزورونه الحين بعد الحين، فكان فى كل زورة يكشف لى غير عامد عن سر من أسرار عبقريته. دفع إلى مرة بضع مقالات فى نقد شرح وضعه استاذان جليلان لكتاب البخلاء، وشرط على أن أنشره غفلا من الإمضاء. فلما ظهر النقد فى الرسالة كان حديث الأندية ومثار الظنون، لأن الناس عجبوا أن يستتر الناقد وهو على هذه المكانة من ثقوب النظر، وقوة التوجيه، وصحة الاستدلال، وعفة اللفظ. وأنفذنى إلى مرة أخرى بأنه يقرض الشعر منذ الحداثة، إما مناقلة بينه وبين نفسه، وإما مساجلة بينه وبين إخوانه. ثم أنشدنى مطارحة من جيد النظم جرت بينه وبين الأستاذ المفتى الجزائرى، وقصيدة دالية من المطولات وصف فيها فساد الطباع فى الناس، وسقوط الأخلاق فى المجتمع. فلما طلبت إليه أن يهديها إلى قراء الرسالة سوّف هربا من سقوط الأضواء ثانية عليه وهو مضطجع على أعراف المجد يسترفه من مكاره الواجب وتكاليف النبوغ. وما زال الناس يرددون هذه الأرجوزة القصيرة التى نظمها وكتبها على قبر زوجته وقد نعم بالعيش معها سنة واحدة ثم توفاها الله بحمى النفاس فلم يتصل بامرأة بعدها حتى لقيها:

يا وردة عاشت حياة الورد عمراً قصيراً وثوت فى اللحد
لولا رِىٌ غافل فى المهد يرضيك أن أحيا ليحيا بعدى
لعجّلتُ بى زفرات الوجد

أما بعد فماذا ينشر الكاتب الوجز وماذا يطوى من حياة أقل مفاخرها موضوع كتاب، وجملة مآثرها تاريخ عصر؟

رحم الله المحامى المدره، والقاضى المجتهد، والوزير النزيه، والدستورى الحر، والفقيه الحجة، والخطيب المفوه، والكاتب البليغ، والشاعر المجيد، والناقد البصير، والأديب المطلع، وألهمنا على فقده جميل الصبر، وعوضنا من بعده خير العوض!

احمد حسن الزيات

أم عمـــارة . . .

« ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة ؟ ! »
محمد رسول الله

للأستاذ محمد محمود زيتون

(٢)

طلع الصباح ، فاتجهت الأنظار إلى جبل أحد ، كأنما كانت الشمس هي الأخرى تشير إليه بأشعتها الحامية ، وها هي أم عمارة تدلف في همة ونشـاط ، ومعها سقاء فيه ماء لتسق الجرحى ، ولما احتدم الضراب ، أخذ الناس يولون ، ولـكن أم عمارة كانت ممن ثبت مع النبي ، ومعها زوجها وأختها وولداها حبيب وعبد الله ، كلهم يتلقى النبال وهي تتهاوى كالبروق على رسول الله ، فلا يخلص منها إليه شيء

هـذه أم عمارة بقامتها المديدة ، والعصائب في حقويها ، وسقاء الماء بين قدميها ، والقوس بين يديها ، ومسلمة يصوب إليها سهماً يصيب يدها ، فينزف الدم ، ويتلفت النبي إلى عبدالله ابن زيد ويقول : أمك أمك !

ولـكنها تمضي إلى الـكنانة المنثورة أمامها فترمى سهماً بعد سهم غير عابئة بجرحها هذا ، ويمينها ابنها على قتل عدو الله مسلمة، وينسى عبد الله جرحه الذي لا يرقأ دمه ، ويحسبه أن قد ظفره الله بعدوه ، وعدو دينه ، ورد كيده في نحره لم يخلص أذاه إلى نبي الله ، ويظل عبدالله يتلقى السهام ، فيراه النبي ، والنزيف منه لا ينقطع فيقول له : اعصب جرحك يا عبد الله

وبلغ الإعياء من عبدالله مبلغاً عجبا ، فقد غلبه جرحه حتى برك كالجمل ، وعمدت إليه أمه ، ونزعت من حقويها عصابة ، وضمدت جرحه ، وأخذت بذراعه وهي تقول : انهض بني فضارب القوم

وتتلفت يمنة ويسرة ، وعلى ملامح وجهها لهفة إلى ترس تتخذها هدفاً لنبال العدو دفاعاً عن رسول الله ، والناس ينفضون منهزمين يولون الأدبار ، وإذا برجل في الراجعين وترسه معه فيقول له النبي :

يا صاحب الترس ، ألق ترسك إلى من يقاتل

ويلق الرجل ما معه ، ويمضي وهو لا يلوى على شيء ، فتنفرج أسارير أم عمارة إذ تتناول الترس تحمي بها وجه رسول الله ، وتظل تارة تترس دونه وتارة تعصب الجرحى ، وتارة أخرى ترى عن القوس ، نبلا بعد نبل ، وهي مع ذلك كله تستفز زوجها وأختها وولديها للنهوض والقتال ، وتفرغ الماء في أفواه جرحى المسلمين ، ويعجب النبي لهذه القدرة العجيبة وذلك المضاء الفائق بينما سائر الجيش يلوذون بالفرار ، فينظر إلى أم عمارة فيقول لها :

ومن يطيق ماتطيقين يا أم عمارة ؟

وفجأة يلمح النبي رجلا في القوم ضرب عبد الله ، ثم انفتل كالأفعوان إلى وكره الخبيث فيشير إليه النبي ويقول لأم عمارة : هذا ضارب ابنك ، فتعاجله أم عمارة بضربة في ساقه ، فيبرك حيث هو كالخيمة انقض عليها صاعق من السماء السابعة ، ويتلوى على نفسه وله جعير كأنه الجمل الذبيح ، ويبتسم النبي ويقول : استقدت يا أم عمارة . ويمينها طلحة على عدوها فيعلوه بسيفه حتى يجهز عليه

ولم تـكد أم عمـارة ترى الرجل قتيلا حتى رجعت إلى وراء كأنما تبدي لرسول الله أسفها أن سبقها طلحة إلى غريمها ، فلم يجعل الله مصرعه على يديها ، ولـكن النبي الـكريم يبادرهـا بقوله مشجعاً :

الحمد لله الذي ظفرك ، وأقر عينك من عدوك ، وأراك ثأرك بعينك . فيستريح بالها ، وتطمئن نفسها ، وتهدأ ثورتها ، ولـكن النبي يلمح جرحاً بعاتقها وهي لا تشعر به فينظر إلى حبيب بن زيد ويقول له : أمك أمك ، اعصب جرحها ، بارك الله عليكم من أهل بيت ، رحمكم الله أهل البيت

وأسرع حبيب إلى نزع عصابة من عصائب أمه ، فضمد جراحها ، وحبس نزفها ، وعلى فم أم عمارة بسمة كأنها البطل الظافر والضرغام الـكاسر ، لولا أنها حوراء قد هبطت من الجنة ترفل في هـالة من القـدس المنير ، فتقول للنبي الـكريم تبتغي رضوان ربها :

يا رسول الله ، أدع الله أن نرافقك فى الجنة

فيرفع النبى يديه إلى السماء ويقول : اللهم اجعلهم رفقائى فى الجنة

وما هى إلا دمعتان أصفى من ماء المزنة تنحدران فى رفق وحنان على خديها ، وتقول فى رضى وإيمان : والله ما أبالى ما أصابنى من الدنيا بعد ذلك

وخفت الوطأة ، وانقشع الغبار ، فمضى على وسعد برسول الله إلى المدينة ، حيث أخذت فاطمة الزهراء تغسل الدم عن وجه أبيها ، فما إن هدأ حتى نظر إلى من حوله ، وقال كأنما يشاركهم الحديث عن أم عمارة وما أحسنت من بلاء غداة أحد :

ما التفت يميناً ولا شمالا يوم أحد إلا رأيتها تقاتل دونى .

وتناقل الناس أخبار أحد ، وسار ذكر أم عمارة فى الركبان ، ولا ينفض سامر للرجال إلا عن أم عمارة ، ولا ينعقد مجلس للنساء إلا بأم عمارة ؛ دخلت عليها خباءها أم سعد بنت سعد بن الربيع الرجل الأنصارى الكريم الذى طابت نفسه لأخيه المهاجر عبد الرحمن بن عوف عن نصف ماله ؛ وإحدى زوجتيه، ولم تكد أم سعد تلج الباب حتى تنسمت عطراً يفوح من أرجاء البيت ، وإذا بالبهاء يأخذ عليها جوانب نفسها . ولم لا ؛ وقد وقفت أم عمارة تصلى فى المحراب ، وتتلو القرآن فى هدأة نفس ، ورقة قلب ، وعبرة عين ، ومقاطع الآيات تكاد تشق صخور الجبال الرواسى . وألقت أم سعد نفسها وقد جمدت فى مكانها ، وألقت السمع والبصر والفؤاد جميعاً إلى أم عمارة وهى تتلو :

« ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه، حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون ، منكم من يريد الدنيا ، ومنكم من يريد الآخرة ؛ ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا الله عنكم ؛ والله ذو فضل على المؤمنين » . الله أكبر

وتركع وتسجد ثم تنهض إلى الثانية ؛ فتستفتح بأم الكتاب ثم تتلو :

« إذ تصعدون ولا تلوون على أحد ؛ والرسول يدعوكم فى أخراكم ؛ فأثابكم غماً بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم ، والله خبير بما تعملون ، ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم .. » الله أكبر

ولما فرغت أم عمارة من صلاتها ، تقدمت إليها أم سعد بالتحية المشرقة ، فلقيتها بوجه يتهلل بالبشر والرضى ، فبادرتها أم سعد تقول : يا خالة أخبرينى خبرك . فقالت أم عمارة : خرجت أول النهار من يوم أحد ، وأنا أنظر ما يصنع الناس ، ومعى سقاء فيه ماء أسقى به الجرحى ، فانتهيت إلى رسول الله، وهو فى أصحابه والدولة والريح للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله فقمت أباشر القتال ، وأذب عنه بالسيف وأرمى عن القوس حتى خلصت الجراح إلى

ورأت أم سعد على عاتق أم عمارة جرحاً أجوف له غور يلفت النظر فقالت : من أصابك بهذا يا خالة ؟ قالت : ابن قمئة أقماه الله ، لما ولى الناس عن رسول الله أقبل يقول : دلونى على محمد فلا نجوت إن نجا ، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير ، وأناس ممن ثبت مع رسول الله ، فضربنى هذه الضربة ؛ فلقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكن عدو الله كانت عليه درعان

فقالت أم سعد : سمعتهم يقولون إن رسول الله دعا أن تكونوا رفقاءه فى الجنة؛ فقالت أم عمارة وقد انداحت الإشراقة على محياها : والله ما أبالى ما أصابنى من الدنيا بعد ذلك !

وانقضت على النبى ثلاث سنوات بعد أحد ؛ والأحداث شاهدة بانتصار الحق وانتشار الدعوة ، وطالت غيبة المهاجرين عن الأهل والوطن ، واهتزت الجوانح شوقاً إلى بيت الله الحرام، وقد وقفت قريش تصد المؤمنين عن الحج ؛ بينما يباح ذلك لأوباش الناس

ونزل النبى تحت شجرة بالوادى ؛ وأخذ البيعة من المسلمين فكانت بيعة الرضوان ، وفتح الله عليهم فتحاً مبيناً ؛ وامتلأت القلوب إيماناً بدخول مكة .. وكان لابد أن تشهد أم عمارة هذه البيعة لتظافر بأجر المجاهدة ، وتحظى بشرف الرضى عند الله

ولما لحق رسول الله بالرفيق الأعلى ، وولى أمر المسلمين خليفته الأمين أبو بكر الصديق ، اندلعت ألسنة النفاق من جحور الفتنة ، ونجمت قرون الردة من رءوس المتنبئين ، وما كان من خليفة محمد إلا أن يقاتل هؤلاء حتى يشهدوا ألا إله إلا الله فيعصموا بذلك دماءهم منه

هنالك ابتلى المؤمنون ، فكأنما بعث المذبون فى الله بعثا

آخر ، ولقوا ما كان يلقاه خباب بن الأرت ، وبلال بن رباح ، وعمار بن ياسر ، وزنيرة ، وظن الكافرون أن الناس لا بد منطلقون من عقال محمد وقد مات ، وحسبوا أن هذا الدين الذى جاءهم إنما هو غاشية أصابتهم ، فهم من بعد موته مفيقون ، وانقلبت فى رءوسهم موازين التفكير ، فراحوا يستبدون عامهم مدركين مجدا لأنفسهم ، إن لم يكن كمجد محمد ، فلا أقل من أن يمحو كل أثر له حتى تعود الأصنام والأوثان مكانتها ، ولأساطين الجاهلية سلطانهم

وكان مسيلمة الكذاب من هؤلاء الذين سول لهم الشيطان أعمالهم ، فأضلهم وأفسد بالهم ، ولم يعد يرى إلا مسلكا واحدا هو « الطغيان » عتد سياطه إلى المستضعفين ، فينالهم من التعذيب ما يدفعهم إلى الخروج من دين محمد ، ويقهرهم على الشهادة بأن مسيلمة رسول الله ، وأنه السيد المطاع ، وأنه الآمر الناهى ، وأنه مالك الرقاب ، وقابض الأرواح

وأخذ مسيلمة حبيب بن زيد فيمن أخذ . وظل يفتله فى الذروة والغارب ليفتنه عن دينه ، فلم يظفر منه بما كان ينتظر ، ولما لم تنفع معه وسائل الإغراء ، عمد إلى الأغلال فصفده بها ، والطعام والشراب فحرمه منهما ، والحديد والنار فصبهما عليه ، وجعل يقول :

— أتشهد أن محمدا رسول الله ؟

— نعم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم

— أتشهد أنى رسول الله ؟

— لا أسمع

ضاق مسيلمة ذرعا بهذا الفتى العنيد حبيب بن زيد ، وأخذ يستعدى عليه زبانيته من الغلاظ الشداد ، فلم تفلح لهم حيلة ، وازداد الكذاب غيظا وحنقا ، واستبدت به شهوة الجبروت ، ونزوة الطغيان ، ورأى بثاقب فكره أن قطع العقدة أيسر من حلها ، وأن لا سبيل إلى الراحة إلا بإخماد هذا الضمير العربيد بين حناياه ، ودارت الفكرة ، ودارسها حتى طلع عليه الصباح ، فاندفع كالثور الأسود ، وفى عينيه شرار ولهيب ، وعلى صفحة خده عروق توشك أن تجحظ بكل ما يعتمل به صدره ويغلى به مرجل حقده

وتسال من خلف حبيب ، فاستمع إلى صوته المتهدج ، وأنفاسه المترامية إلى أطراف الحياة لا تزال تردد فى هبوط : الله أكبر . . . ولم يكتم مسيلمة نار الضغينة فى نفسه ، فاستل سكينا ، وجعل يقطع فريسته عضوا عضوا ، يقطع باليمين ويرمى بالشمال ، والدماء تنبثق كالنوافير فى عينيه ، كأنها تدفق من قدر على النار ، ومسيلمة كالجزار لا يبالى ما يصنع ، والأشلاء فى يسراه ترعش كأنما تصب عليه اللعنات ، فلا يطيق صبرا عليها ، فينحيها عنه بأقصى مايستطيع من قوة ، ولم يزل به حتى خفتت أنفاسه وهى تمتد إلى وادى الخلود

واستراح مسيلمة منذ انقطعت كلمات حبيب بعد أن قال آخر ما قال : الله ربى : وما كان للطاغية أن يدع هذه الأشلاء ، وتلك الدماء هكذا ، فقد واتته فكرة طائرة اهتز لها اهتزازا عنيفا وهو فى نشوة النصر المنحوس ، تلك هى أن يشق صدر حبيب ويستخرج قلبه ، ويرفعه بزق رمحه ، ويحدجه بنظره فى عين الشمس ، ليعبث بهذا القلب الذى امتلكه محمد ، ولينبش السر الذى كمن فيه الإيمان ، وأخيرا ليقول للشمس :

اشهدى ، فقد أهلكت بيدى ما أراد محمد أن يهلك به سلطانى . وقالت له الشمس : لا أسمع ، فدخل فى روع مسيلمة أنه صوت حبيب ، فهاله أن رآه وقد مات بين يديه ، وصوته مازال يتردد مع أشعة الشمس ، فإذا بهذه الأشعة كأنها رشاش الدم ينصب فى وجهه فما يطيق دفعه ، ولا يستطيع أن يتفاداه

ألقى مسيلمة السكين من يده ، فى هدوء جمع بين النصر والهزيمة ، وكأنما صحا من حلم يداعب خياله فى نأمة الليل البهيم ، فما هو إلا أن غشيته كتائب الإيمان تسيل بها « اليمامة » وتنقض على مسيلمة كأنها موت الفجاءة ، وإذا بأم عمارة كأنها بمفردها كتيبة خرساء ، درعها سابغة ، وخوذتها شاملة ، وكنانتها فى منكبيها ، وسهامها منتضاة ، وحرابها مختصرة

وشمرت الحرب عن ساقها ، وشرعت أم عمارة وبين يديها ابنها عبد الله تتفحص مسيلمة فى عصابته فإذا بالفاجر المغمر يحوطه عبيده من كل جانب ، فأشارت إلى ابنها ، فرماه رمية استقرت فى نحره ، فانتفض عنه كل من كان حوله ، فقام آخر وأجهز عليه بسيفه ، وخلفه ملحمة للجوارح والكواسر

أدب الشتاء

للأستاذ محمد سيد كيلاني

حسبك أن تندس في اللحاف — وخشية البرد على الأطراف

«ابن وكيع التنيسي»

— ٢ —

يرغم الناس في فصل الشتاء على الدخول في حرب مع الطبيعة فنهم الفقير الضعيف الذي لا يطيق بلاء هذه الحرب، فيشكو ويتألم، ويسخط ويتبرم، حتى يتمنى لو فتحت له أبواب جهنم ليدخل فيها هربا من شدة البرد وقسوته، قال أحد الشعراء:

أيارب هذا البرد أصبح كالحا — وأنت بصير عالم ما تعلم

لئن كنت يوما في جهنم مدخلي — ففي مثل هذا اليوم طابت جهنم

لقد كاد الشاعر يتجمد من شدة البرد، وأنساه هذا الهول ما يمكن أن يلاقيه من عذاب النار. فتضرع إلى الله أن يعجل بإدخاله جهنم، فهي عنده مكان صالح لأن يعيش فيه بعيداً من بطش البرد الذي كاد يفتك به

وهذا شاعر آخر يتمنى لو مات واستراح من عناء الشتاء وآلام البرد. قال:

فليت هذا الشتاء الصعب مذ وقعت — عيني عليه افترقنا فرقة الأبد

برد لو ان الورى جاءت تبايعني — على الخلافة لم أقدر أمد يدي

وفي هذا من المبالغة ما فيه. فالشاعر مع شدة فقره وعظيم

لو أن أم عمارة كانت تقاتل مسيلمة انتقاما منه لقتله ابنها حبيب لهان الأمر، ولكنها والله إنما جاءت لتقاتل في سبيل الله ولتكون كلمة الله هي العليا

لهذا فهي تضارب القوم، وهذا شاب مغامر قد انفتل من شرذمة الباطل، وامتدت يده بالسيف إلى أم عمارة، يريد أن يزيل هامتها فأخلفته فما هو إلا أن طارت يدها في الهواء، والجراح موزعة في أجزاء جسمها، والدماء تنزف منها على غير هدى، وإذا بها ترى ابنها يمسح سيفه بثيابه، ونظراته تشير إلى مصرع عدو الله مسيلمة، فانشق الدم المدرار عن بسمة من ثغرها، وسجدت لله الذي جعل مصرع ذاك الخبيث على يد ابنها، حتى انطوت في لحظة واحدة مائة وخمسون سنة قضاها مسيلمة يحارب الله ورسوله ويفتن المستضعفين، ويعذب المؤمنين، ويصد عن السبيل، ويحسب أنه من المهتدين

وانطفأت فتنة الكذاب، وأخذت الدعوة سبيلها إلى القلوب وامتدت إلى الأمصار، وأم عمارة سيدة المجاهدات المسلمات، لم تثنها ضربة يوم أحد عن خوض غمار حرب يوم اليمامة، ولم يصرفها قتل ابنها حبيب عن دفع ابنها الوحيد عبد الله إلى الميدان، وما كان الجرح الغائر في عاتقها الذي لقيته من ابن قئة ليصدها عن محاربة مسيلمة

استرخصت أم عمارة الحياة الدنيا في سبيل الحياة الآخرة، وأرادت العزة فوهبتها عزيز الروح، وعاشت دهرا بعد أن تقطعت يدها يوم اليمامة، ورجعت وفي جسمها اثنا عشر جرحا ما بين طعنة برمح، وضربة بسيف، وكأنها اثنا عشر نجما تتلألأ في السماء، فتنير ظلام البدن بشرف الروح

وجعل الناس يعودونها ومعهم مرضاهم لتستشفي لهم، ويلتمسوا منها البركة، فتمسح بيدها الشلاء على موضع العلة، وتدعو ببعض كلمات كانت تسمعها من رسول الله، فما من عاهة مسحت عليها بيدها إلا برئت بإذن الله

وصار كل من يرى أم عمارة لا يستطيع أن يخفي إعجابه من قلبها هذا الحديدي، وقد امتلأ أمنا وإيمانا، ولا أن يخفي عجبه من هذه الجراحات الموزعة في ظاهر جسمها، وكلما سأل سائل عن ذلك، قالت:

«يوم اليمامة تقطعت يدي وأنا أريد قتل مسيلمة، وما كان لي ناهية حتى رأيت الخبيث مقتولا، وإذا بابني عبد الله بن زيد يمسح سيفه بثيابه فقلت له: أقتلته؟ قال: نعم. فسجدت لله شكرا»

وكان جديرا بأم عمارة أن تلقى التكريم من كل من جلس إليها، وتأمل آثار جهادها، ولكن ما كان أسعدها حين يردد الناس على سمعها قول النبي الكريم، وما أصدقه وأبلغه وأحكمه: ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة!

محمد محمود زيتون

احتياجه إلى ما يدفع عنه غائلة الشتاء يقول لو أن الناس ذهبوا ليبايعوه بالخلافة لما استطاع من قسوة البرد أن يمد يده ويتقبل البيعة

وهذا شاعر آخر يصف ليلة من ليالي الشتاء فيقول

فنحن فيها ولم نخرس ذوو خرس

ونحن فيها ولم نفلج مفاليج

وحسبك هذا المنظر . قوم جمدوا في أماكنهم من شدة البرد فكأنهم قد أصيبوا بالخرس والشلل فلا يستطيعون كلاما ولا حركة

وهكذا تنافس الشعراء في اختراع الصور وابتكار المعاني التي تترجم عن مشاعرهم المختلفة ، وإحساساتهم المتباينة أمام هذا العدو الجبار وهو البرد

* * *

وفي الشتاء كما ذكرنا يكثر أدب الشكوى والسخط والتبرم بالفقر . وذلك لأن متاعب الفقر تظهر في هذا الفصل ، فيشعر المعدمون بوطأة الحياة عليهم ، ويتألمون ويتضجرون ومثال ذلك قول أحدهم :

قيل ما أعددت للـ ... برد وقد جاء بشده

قلت دراعة عري ... تحتها جبة رعده

وهذا شاعر متصوف يقول :

جاء الشتاء وليس عندي درهم ... ومثل هذا قد يصاب المسلم

لبس الملوح خزوزها وفراءها ... وكأنني بفناء مكة محرم

وأكثر ما يظهر حسد الفقراء للأغنياء في هذا الفصل الذي تعرف فيه قيمة الثراء حق المعرفة . وقد يمزجون الشكوى من الشتاء بالتهكم المر والسخرية اللاذعة والدعابة المؤلمة . ومثال ذلك قول أحدهم :

لي من الشمس حلة صفراء ... لا أبالي إذا أتاني الشتاء

ومن الزمهرير إن حدث الغيـ ... ـم ثيابي وطيلساني الهواء

بيتيَ الأرض والسماء به سو ... ر مدار وسقف بيتي السماء

فكأن الإصباح عندي لما فيـ ... ـه حبيب رقيبه الإمساء

فانظر كيف صور الشاعر نفسه ، وكيف فرج عن آلامه المكبوتة بهذه الدعابات وكيف وصف ما يعانيه من العري في هذه الصورة الساخرة . فهو لا يحفل بالشتاء ولا يعبأ بالبرد . فإن طلعت الشمس اتخذ منها ثيابه ، وإن احتجبت استعاض عنها بالغيم والهواء والفضاء سكنه . فكأنه يعيش على مذهب العراة الذي نسمع به في هذه الأيام

وانظر إلى أبي الحسين الجزار حين يقول :

لبست بيتي وقد زررت أثوابي ... على حتى غسلت اليوم أثوابي

وقد أزال الشتا ما كان من حنق ... دعني فمستوقد الحمام أولى بي

ما كنت أعرف ما ضرب المقارع أو ... قاسيت وقع الندى من فوق أحبابي

فالبيت الأول يكشف عن خفة الروح التي اشتهر بها هذا الشاعر . فهو لفقره وعدم توفر الملابس لديه اضطر إلى أن يتجرد من أثوابه ويحبس نفسه في منزله حتى تغسل ملابسه وتجف . وقد عانى من ويلات البرد ما جعله يخنع ويستكين ويفضل أن يلقى بنفسه في مستوقد الحمام لأن وطأة البرد عليه كانت أشبه بضرب المقارع

* * *

وبجانب هذا الأدب الذي يعبر عن الشكوى والسخط ، نجد أدبا آخر يصور حياة الأغنياء في هذا الفصل وما فيها من ترف ونعيم . فهو عندهم فصل محبب إلى النفس ، إذ يقبلون فيه على الخمر والكباب والنساء ، والسماع والرقص . قال أحدهم :

نعم الشتاء وحبذا ... زمن الهنا والراحة

طاب العناق به إذا ... دار الحبيب براحتي

وقال الخوارزمي :

أعد الورى للبرد جندا من الصلا ... ولاقيته من بينهم بجنود

ثلاث من النيران : نار مدامة ... ونار صبابات ونار وقود

فهذا هو شعور الأغنياء نحو الشتاء . فهو عندهم فرصة للتمتع بالمشروب والمأكول والملبوس والملموس . وكانوا يسمون لوازم الشتاء « كافات » . وهي عندهم سبعة تضمنها قول الشاعر :

جاء الشتاء وعندي من حوائجه ... سبع إذا القطر عن أوطاننا حبسا

كن وكيس وكانون وكأس طلا
مع الكباب وكف ناعم وكسا

الكن أى المنزل والكيس كناية عن النقود . وكف ناعم كناية عن المرأة، والسعيد هو الذى تتوفر لديه هذه النعم وكثيراً ما شكا الفقراء من حرمانهم من تلك الكافات . قال أحدهم

جاء الشتاء وما الكافات حاضرة
وإنما حضرت منهن أبدال
قل وقر وقلب موجع وقلا
وقادر هاجر والقيل والقال

وقال آخر :

لا الكاف عندى ولا الكانون متقد
كنى ظلامى وكيسى قل ما فيه
دع الكباب وخل (الكف) وا أسفا
على كسا أتغطى فى دياجيه

فمن هنا نرى أن الشتاء يوحى بنوعين من الأدب يناقض أحدهما الآخر ؛ فالأول أدب الفقراء الذى يصور ما يلاقيه الفقير من البؤس والضيق والجوع والعرى . وإحساس الفقير بالحاجة إلى الغذاء والكساء فى فصل الشتاء أشد منه فى أى فصل آخر. وذلك لحاجة الجسم إلى طاقة معينة من الحرارة لا يحصل عليها إلا إذا توفرت لديه الملابس الصوفية والمواد الدهنية . وبغير ذلك يتعرض الناس للموت ولأمراض الشتاء المختلفة . لذلك كان هذا النوع من الأدب صادقاً إلى أبعد حدود الصدق . أما النوع الآخر فهو الذى يصور حياة الأغنياء وما فيها من لهو ومجون وعبث وخلاعة وتفاخر بالأموال والثروات . فليالى الشتاء عندهم مواسم وأعياد

° ° °

وفى الشتاء تكثر البراغيث بين الطبقات الفقيرة . قال ابن وكيع التنيسى :

حتى إذا ما ملت للرقاد
عت على فرش من القتاد
إن البراغيث عذاب مزعج
لكل ما قلب وجلد تنضج
لا يستلذ جنبه المضاجعا
كأنما أفرشته مباضعا

فانظر كيف صور الشاعر ليالى الفقراء فى هذا الفصل . فبينما هى فرصة طيبة للهو والخلاعة عند الأغنياء ، إذا هى جحيم لا يطاق عند الفقراء . برد شديد ، وبراغيث تطرد النوم عنهم فى غير رحمة فلا عجب إذا تبرم الفقراء بطول الليل وتضجروا . فى حين أن الأغنياء يجدونه — على طوله — قصيرا

وهذا شاعر آخر يزعم أن للبرغوث فوائد ومزايا . وقال :

لا تكره البرغوث إن اسمه
بروغوث لك لو تدرى
فبره مص دم فاسد
والغوث إيقاظك فى الفجر

وهذا من وحى الجهل نعوذ بالله من شره

° ° °

وكان من الناس من يعجزهن تأدية فريضة الصلاة، وبخاصة صلاة الصبح ، وذلك لشدة البرد . قيل لأعرابى : أما تصلى فى الشتاء ؟ قال : البرد شديد، وما على كسوة أصلى فيها . وأنشد :

إن يكسنى ربى قميصا وريطة
أصلى وأعبده إلى آخر الدهر
وإن لم يكن إلا بقايا عباءة
مخرقة مالى على البرد من صبر

فى الشتاء تصعب الصلاة ويسهل الصيام . وهناك أحاديث رويت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى مدح الشتاء منها قوله عليه السلام : الشتاء ربيع المؤمن ، قصر نهاره فصامه ، وطال ليله فقامه

° ° °

وكانوا لشدة البرد يكثرون من الذهاب إلى الحمامات العامة التى كانوا يسمونها « بيت النار » وقد وصفها الأدباء شعرا ونثرا وأتوا فى ذلك بالمعانى الطريفة والصور اللطيفة كما سنرى فى غير هذا المقال . وكان للأغنياء حماماتهم الخاصة ، يدعون إليها المقربين لديهم من الأدباء، ويقضون فيها وقتا طويلا متجردين من برقع الحياء

° ° °

وفى الليل يلتفون حول المواقد ، ويتناشدون الأشعار ، ويستمعون إلى القصص والحكايات والملح والنوادر . ويتنافسون فى نظم المقطوعات التى تتناول وصف المواقد وما فيها من جمر

المقامة اللغوية

للأستاذ ابراهيم الأبياري

أمردود على حديث قوى   به سبقوا وما سطرت غيا

ألقاك أيها الوديد على موروث عى به واعيه، وند عن باغيه؛ لا هو بالآحاد فيحد، ولا بالمئـــات فيعد. أنت عنه صادف، وفيه عازف

وقبلك بلونا الوارثين:

طوى الدهر عنهم ما أفادوا فأعدموا

حين راموا مرامك، وقعدوا مقعدك

وغير هذا ما تمهد؛ فمالك اليد المبسوطة فى سرف، ولاأنت يزيك ترف؛ فترهبك النزر، وتخشى التربة مع العمر. وهل أنت إلا شحشاح، من شحاح تأخذ النزر، وتبق الكثر. هـذا إلى منيات لم تنفض لها خبا، ومكنونات لم تشهد لها رسما، فما أولاك أن تردنى إلى قول القائل:

ألا جحجح فما بآراى تدلى   ولا أنت الملوح بالصواب

ولو غير الثقة أحل لك، وأنشد دون إعزازك، لتركتك فى هواك، وأسلمتك إلى مثواك

وغاب عنك أنك والسرف على حسرة، فكلا كما مضياع، هو بما خرج عنه، وأنت بما حرمت منه. غير أنه عز بما ذاق مع الإنفاق، وأنت لهيف حسير على فوت ما شاق. وما أبعد ما بين الحسرتين

وتسألنى عما لك من نشب لا أحصيه، ورزق ساقه الله إليك ولا تدريه؛ فعرفتك بنفسك أن ليس لك سلف أتلدوا، ولا خلف أطرفوا؛ فما بالى أدينك فى غير دينة؛ وأشينك دون مشينة

وفاتك أنك وارث القاموس بما طم، ومالك المحيط وما ضم

وما هو إرث يا أمام قليل

وأخاف أن تهمنى أهازلك

وما الجم إلا أن أقول فأصدقا

وتهتال، فى هذا المآل؛ وتطالعنى عيناك بما يهجس فى صدرك وتوسوس به نفسك.

تريد بياناً أو مزيداً من الفهم

وأوجس أن أبلبلك؛ فتزحم ربة البحار، تنازعها ما انتزعت منك؛ فتهيج على أملاك هيجاء تذهب بالحرث والنسل

وغيرك — حماك الله — يثرى بالأنشاب، يجد فيها جاهته وأنت نشبتك ما تحوى الدفاتر، واعتزاؤك إلى ما تضم القماطر

هذا إرثك الذى ترث لا ورق فيه ولا نضار

وتجهمنى يا ابن إنس وبك غير الرضا عن نصيبك من الحياة أو يضارك أن أجملك من الوارثين، وأن أسلكك فى زمرة المالكين. أليست لك من اللغة تلك الكلمات التى لا تحصى، والأساليب التى لا تستقصى

أو لست وارثها ومالك شأنها

وإليـك أمر بقائهـــا وفنائهـا

وإن من ضن ضنك، وحاز حوزك، خليق أن يكون فى الرعاية الأمنة. وأراك من الجيل الجانح إلى ما خف، الطيب مالان اللسان، ينفر إن ذكرته بما لم يسمع، ويأنف إن دريته بما لم يحفظ. وهو من اللغة فى أبيجاد، يعيش منها على آحاد

ما أشبهك بالبخيل الذى فقد ماله بحبسه، وخرج من دنياه إلى رمسه، وهو لم يحسن إلى نفسه

ابراهيم الابيارى

أحمر بلون الرماد، وما يتصاعد منها من لهب.

* * *

فإذا انتهى الشتاء وولى، وأقبل الربيع فرح الناس واستبشروا بانقشاع تلك الغمة وذهاب تلك الشدة. وفى برد العجوز التى هى نهاية الشتاء يقول أحدهم:

كسع الشتاء بسبعة غبر   بالصن والصنبر والوبر
وبآمر وأخيـــه مؤتمر   ومعلل وبمطفئ الجمر

« يتبع »

محمد سيد كيلانى

من حديث الشعر

الأستاذ كمال بسيوني

بعث بهذا الكتاب إلى أستاذ صديق من أساتذة الأدب في جامعة فؤاد الأول، وقد رأيت ألا بأس بإذاعته وإظهار الناس عليه فقد يكون فيه خير قليل أو كثير، وقد يكون فيه نفع ضئيل أو خطير. وأول ما يجب على الكاتب أن يؤثر الناس بالخير، ويختصهم بما يعتقد أن لهم فيه نفعاً، فإذا تفضلت «الرسالة» فأذنت في نشره، فلها مني شكر ملؤه المودة الصادقة.

كمال بسيوني

صديقي العزيز...

لست أدري ما اهتمامك بهذا الشعر المصري الحديث، تدرسه وتنقده وتؤرخ له، إلا أن تكون قد أغرقت في العلم والفلسفة حتى مللتهما، فأردت أن ترفه عن نفسك بشيء من الجهل والسذاجة تجدهما في شعر هؤلاء الشعراء. ولا تغضب ولا يغضب منك هؤلاء الشعراء، لم أرد إغضابك ولا إغضابهم، وما كنت في يوم من الأيام، ولن أكون في يوم من الأيام، مريداً إلى إغضاب أحد أو متعمداً إسخاط أحد، وإنما هو الحق الذي أخلص له الحديث إذا تحدثت، والعلم الذي أتحرى فيه الصواب إذا بحثت، وأنا مهما كنت حريصاً على إرضائك شديد الكره لإسخاطك، فأنا على إرضاء الحق أحرص، وللعبث بالعلم أشد كرهاً، وأنا من أجل ذلك آسف أشد الأسف حين أعلن إليك مضطراً أن هذا الشعر الذي يهز نفسك هزاً، ويختلب قلبك اختلاباً، لا يدل على شيء إلا على الجهل والسذاجة وما شئت من هذه الصفات التي تصور انحطاط الحياة العقلية. وماذا تريد أن أقول في كلام لا يصور حقيقة من حقائق العلم، ولا يشرح نظرية من نظريات الفلسفة، ولا يعتمد على منهج من مناهج البحث، ولا يحب الدقة إذا أراد أن يحدد الأشياء، بل لعل أبغض شيء إليه هو أن يسمي الأشياء بأسمائها. ستقول: وما للشعر ولهذا كله؟ ومن قال إن الشعر يصور حقائق العلم أو يشرح نظريات الفلسفة أو يعتمد على مناهج البحث أو يحرص على تسمية الأشياء بأسمائها؟ ولقد كنت تقول الشعر وتنشره في «الثقافة» وفي غير «الثقافة» من المجلات الأدبية، فهل كنت تقصد به إلى حقائق العلم ونظريات الفلسفة، أم كنت تقصد به إلى الجمال الفني في نفسه، لا تريد إلا أن تصف شعوراً شعرت به، أو إحساساً أحسسته، أو خاطراً عرض لك، في لفظ يلائمه رقة وليناً وعذوبة، أو روعة وعنفاً وخشونة؟ أكان شعرك يتناول حقائق العلم ونظريات الفلسفة، أم كان شعرك يتناول الطبيعة وجمالها، يتناول العاطفة وحرارتها، يتناول الرضا والسخط، يتناول الفرح والحزن؟ لقد كنت شاعراً وتعرف أن الشعر فن كله، يفسده العلم أو يكاد يفسده إن دخل فيه، وكنت شاعراً وتعرف أن الشعر ليس هو الكلام الذي يعتمد فيه صاحبه على البحث والمقارنة واستنباط الحقائق، وإنما هو الكلام الذي يعتمد فيه صاحبه على الخيال، ويقصد فيه إلى هذا الجمال الفني الذي يختلب الألباب ويستلب القلوب. ستقول هذا وأكثر من هذا، وأنا أحب أن أستمع منك إلى هذا الكلام وأمثال هذا الكلام، لأن هذا الكلام نفسه لا يؤيدك في شيء، ولكنه يؤيدني في كل شيء، ويثبت بما لا يدع مجالاً للشك أو الجدل أن هذا الشعر لا يدل إلا على الجهل والسذاجة وما شئت من هذه الصفات التي تدل على انحطاط الحياة العقلية. إن الشعر إذا لم يكن علماً وكان يفسده العلم، ولم يكن يعتمد على الواقع وإنما يعتمد على الخيال، ولم يكن يحرص على تسمية الأشياء بأسمائها، وإنما يحرص على فتنة اللفظ وسحره، وعذوبة الجرس وجماله، فكيف لا يدل بعد هذا كله على الجهل الجاهل والسذاجة الساذجة؟ لقد كنت شاعراً وأعرف أن الشعر يعتمد أول ما يعتمد على المبالغة الكاذبة والخيال الجامح الذي يصور الأشياء كما يشاء، لا يحفل في تصويره بشيء ولا يقف عند شيء. فليست المرأة في منالته إنساناً يأكل ويشرب ويتنفس، وإنما هي جسم من النور مرة وغصن على كثيب مرة أخرى، وغزال نافر مرة ثالثة وعلى هذا النحو، وليست المرأة الجميلة في رأيه امرأة أتاح الله لها هذا الجمال، وإنما هي الطبيعة المتناثرة تجمعت فكانت هذه المرأة الجميلة، فوجهها

كان جزءا من فلق الصبح ، وشعرها كان قطعة من قطع الليل، وثناياها كانت لؤلؤا أو برداً أو أقاحا ، وخداها كانا وردتين ، ونهداها كانا رمانتين ، وردفاها كانا موجتين إلى آخر هـذا الـكلام الذى يفهمه الشعراء ، والذى يفهمه الشعراء على طريقتهم الخاصة ، وأنا أعرف أنك ستقول : إن هذا كله هو الفن وإن هذا كله هو الخيال ، ولـكن ما رأيك فى هؤلاء الـكتاب الذين يجيدون الفن ويستخدمون الخيال ثم تعصمهم ثقافتهم الواسعة عن أن ينحدروا هذا الانحدار ، وأن يسفوا هذا الإسفاف ؟ بل ما رأيك فى هؤلاء العلماء الذين يستخدمون الخيال فى معاملهم كما يستخدمه الشعراء بل أكثر ممـا يستخدمه الشعراء ، وهم مع ذلك لا ينتهون إلى ما ينتهى إليـه هؤلاء الشعراء من هذا اللهو واللغو، وإنما ينتهون إلى استكشاف الحقائق العلمية الصحيحة . ولـكن معذرة فإنى أنسيت أن خيال الشعراء غير خيال العلماء ، فخيال الشعراء يصعد إلى السماء فيستوحى منهـا الحقائق ، ثم يتنزل إلينا بها بعد ذلك لا تقبل الشك ولا تحتمل المراء . ولـكن خيال العلماء يجرى فى الأرض ليستنبط منها الحقائق استنباطا ولم يتح الله له هذا الجناح الذى يستطيع به أن يطير فى السماء ، وأن يجوب أجواز الفضاء، ومن هنا كان الشعر مطمئنا إلى كل ما يقول ، لأنه إنما يستوحى حقائقه من السماء ، وكان العلم شاكا فى كل شئ ، غير مطمئن إلى شئ ، لأنه إنما يستنبط حقائقه من الأرض ، ومن هنا رأينا العلماء حين يتصورون فرضا من الفروض لا يطمئنون إليـه حتى يجرون عليه التجارب المختلفة التى تثبت صحته أو فساده ، ورأينا الشعراء حين يتصورون أمرا من الأمور يضعونه فى إطاره الشعرى ، ثم يقدمونه إلينا تحفة فنية رائعة ، لا يبالون بعدها إن كان ما قالوا حقا أم باطلا ، خطأ أم صوابا ، ومن هنا كان العلماء فى حاجة إلى القراءة والدراسة والبحث والاستقصاء ، ولم يكن الشعراء فى حاجة إلى شئ من هذا كله ، لأنهم يدرسون فى السماء ، ويقرأون فى الفضاء ، ولا تقل : وماذا تريد إذن من الشعراء ؟ أريد منهم أن ينظموا الشعر فى الأرض ؟ أتريد أن تقص أجنحة خيالهم المحلق ؟ . أتريد أن تفسد عليهم شعرهم بمـا تسميه حقائق العلم ونظريات الفلسفة . لا تقل هذا فإنى لا أريد من شعرائنا أن ينظموا شعرهم فى الأرض ، ولا أن يفسدوه بالعلم والفلسفة ؛ ولـكن تعال أسألك : من من الـكتاب يستطيع أن يتناول موضوعا من الموضوعات الأدبية فيكتب فيه مقالا أدبيا رائعا دون أن يكون قد عرفه وفهمه ودرسه من جميع نواحيه ، ولـكن تعال أحدثك عن كثير من الشعراء الذين ينظمون القصائد الطوال فى مواضيع لا يعرفونها ولا يعلمون من أمرها قليلا أو كثيرا ، تعال أحدثك عن شوقى شاعرنا العظيم ، إنك قد قرأت من غير شك قصيدته الطويلة العريضة التى قالها فى « شكسبير » ، فماذا فيها عن شكسبير ؟ . ليس فيها عنه إلا أنه يشبه شعره بالآيات المنزلة ، ويشبه معانيه بعيسى المسيح ، ويقول : إن قصصه تمثل الحياة ، وما عدا ذلك فهو كلام عام لا يشير إلى شكسبير من قريب أو بعيد ، فأستحلفك بعقلك الذى يطمئن إلى حقائق العلم لا بنفسـك التى تهتز لسماع الشعر ، لو أن كاتبا أراد أن يتحدث عن شكسبير أكان يقول مثل هـذا الـكلام ؟ بل أستحلفك بعقلك الذى يطمئن إلى حقائق العلم لا بنفسك التى تهتز لسماع الشعر ، أيجرؤ كاتب أن يتحدث عن شكسبير وهو لا يعلم من أمر شكسبير شيئا ؟ ولـكن معذرة فإنى أنسيت أن الشاعر ذو خيال ، وأنه يستطيع أن يصعد بخياله فى السماء فيتنقل به بين الـكواكب السيارة والثابتة ، ثم يتنزل إلينا بعد ذلك بأشعاره الحلوة العذبة التى لا تخلو من ضخامة ولا تبرأ من فراغ

ستقول : وماذا تريد ؟ أتريد أن تسكت الشعراء عن قول الشعر ؟ إنك إذا استطعت أن تسكت الطائر الغرد عن تغريده ، أو تمنع الزهرة الأرجة عن أن تبعث عرفها ، أو تمنع الشمس المضيئة عن أن ترسل ضوءها ، استطعت أن تسكت الشعراء عن قول الشعر وأنا معك فى أنى لا أستطيع أن أسكت الشعراء عن قول الشعر ، لأنه ينبعث منهم انبعاثا يوشك أن يشبه انبعاث الضوء عن الشمس والعطر من الزهرة ، ولـكنى أريد إليهم ألا يجعلوا حياتهم الشعورية والنفسية كل شئ، وأن يجعلوا لحياتهم العقلية نصيبا من عنايتهم ، فأنا أعلم أنهم قالوا الشعر لمـا حباهم الله به من شعور مرهف وحس قوى وعاطفة دقيقة وخيال خصب، فكان الشعر أثرا لهذا كله ومظهرا لهذا كله ، ولـكن الله قد حباهم مع ذلك عقلا واسعا وتفكيرا ناضجا ، فأين أثر هـذا

العقل وأين مظاهر هذا التفكير ؟ ستقول : ولم لا يكون الشعر أثراً من آثار العقل ومظهراً من مظاهر التفكير ؟ وأنا أقول : إن الشعر لا يمكن أن يكون أثراً من آثار العقل ولا مظهراً من مظاهر التفكير ، فالشعر بوزنه وقافيته ولفظه وخياله أضيق من أن يسع تفكير العقل إذا ارتقى وأخذ من العلم والفلسفة بنصيب لا بأس به ، وأنت تعرف كيف نشأ النثر الفني عند اليونان والرومان ، وكيف نشأ النثر الفني عند العرب ، وكيف نشأ النثر الفني عند الأمم الأوربية الحديثة ، فقد كانوا يقولون الشعر ويتغنونه في حياتهم الأولى ، وكانوا يقولون الشعر ويتغنونه بحكم هذه الملكات الفطرية التي تنشأ مع الأفراد والجماعات والتي نسميها الحس والشعور والعاطفة والخيال ، والتي تنمو وتنضج قبل أن ينمو العقل وينضج التفكير ، فلما وصلوا إلى درجة من الحضارة والرقي العقلي ضاق عنها الشعر بوزنه وقافيته ولفظه وخياله احتاجوا إلى أن يتحللوا من هذه القيود وما كان تحللهم من هذه القيود إلا نشأة لهذا الفن النثري الذي تراه راقياً قوياً في الأمم التي بلغت من الرقي والحضارة أمداً بعيداً . لن يكون الشعر في يوم من الأيام مظهراً من مظاهر الحياة العقلية ؛ ولكنه كان وسيكون دائماً مظهراً من مظاهر الحياة الشعورية والنفسية .

وإذا كان الشعراء قد برهنوا لنا بشعرهم الرائع على أنهم أصحاب حس قوي وشعور مرهف وخيال خصب ، فقد بقي عليهم أن يبرهنوا لنا على أنهم أصحاب عقول ناضجة تستطيع أن تبحث وأن تفكر وأن تصل إلى حقائق الأشياء . وأنا أعلم أنك سترميني بالمكر والكيد ، وأني أريد أن أصرف الشعراء صرفاً عن الشعر حين أدعوهم إلى أن يهتموا بحياتهم العقلية وأن يأخذوا أنفسهم بالثقافة الواسعة العميقة ، ذلك أني أزعم أن الشعر أضيق من أن يسع تفكير العقول الراقية التي أخذت من العلم والفلسفة بنصيب كبير ، وفي الوقت نفسه أدعوهم إلى هذا الرقي العقلي والتعمق العلمي والفلسفي ، فماذا أريد من ذلك إلا أن أهيئهم تهيئة جديدة لا يستطيعون معها قول الشعر . ويجدون أنفسهم مضطرين إلى أن يهجروه إلى هذا الفن النثري أو هذا النثر الفني الذي يجدون فيه مجالاً واسعاً لأفكار عقولهم بعد أن ضاق الشعر عنها ، ولم يتسع بوزنه وقافيته لها . ستقول هذا كله ، وأنا معك في أني أريد أن أصرف الشعراء صرفاً عن الشعر ، لأني لا أحب لهم أن يظلوا في مرتبة الأمم البدائية التي تقول الشعر وتتغناه في حياتها الأولى ؛ وإنما أريد أن يتجاوزوا هذه المرتبة إلى مرتبة الأمم التي ارتقت في الحضارة وتقدمت في الحياة العقلية وعرفت هذا النثر الفني الذي يتسع لأفكار عقولهم الراقية المثقفة . إن الشعر أول مظهر من مظاهر الفن في الكلام لأنه لغة الحس والشعور والخيال . ولكن النثر آخر مظهر من مظاهر الفن في الكلام . وإنما أحب أن يتجاوزوه إلى المظهر الأخير من مظاهر الفن في الكلام ، لأني أحب لهم أن يتطوروا في فنهم كما يتطورون في حياتهم ، فأنا أفهم أنهم يصوغون الشعر في حياتهم الأدبية الأولى لأن عقولهم لم تكن قد ارتقت وأخذت بحظها المقدور لها من الثقافة . ولكني لا أفهم أن يظلوا طول حياتهم يصوغون الشعر ليس غير لأن معنى هذا أنهم يعيشون خرس العقول فصحاء الخيال ، ولأن معنى هذا أنهم ينفقون حياتهم بعيدين عن هذه الحياة العقلية الراقية ، بعيدين عن هذه الثقافة الواسعة العميقة التي لا يستطيع أن يستغني عنها كل إنسان يريد أن يعيش عيشة راقية في بيئة راقية . وأنا كما تعلم كنت شاعراً في مبدأ حياتي الأدبية . ولقد قلت الشعر ما اتسعت أوزانه وقوافيه ولفظه وخياله لما يجول في نفسي من معان وخواطر وعواطف ، فلما ارتقت حياتي العقلية وأصبح الشعر أضيق من أن يتسع لأفكاري الناضجة رأيتني مضطراً إلى أن أنصرف عنه إلى هذا الفن النثري أو هذا النثر الفني

وإن من دواعي الغبطة أن تزدهر الثقافة في هذا العصر ، وأن تبلغ الحياة العقلية في مصر أوجها ، وأن يكون ازدهار الثقافة وارتقاء الحياة العقلية سبباً في إخمال الشعر وإسكات صوته . ولقد قيل إن الشعر في مصر قد خفت صوته بعد شوقي وحافظ ؛ وأنا أقول : إن الحياة العقلية في مصر بعد شوقي وحافظ قد ارتقت . فانصرف الناس إلى تسجيل أفكارهم بعد أن كانوا منصرفين إلى تصوير إحساسهم . ألا فليعلم الناس أني ما سمعت أن فلاناً شاعر حتى فهمت أنه لم يزل في الطور الأول من أطوار الأدب ، وأنه أبعد ما يكون عن هذه الثقافة الواسعة العميقة وما سمعت أن

المكتبة العــــربية
فى عصر الحروب الصليبية
للاستاذ أحمد أحمد بدوى

— ٤ —

وكان النحو مادة أساسية من مواد الثقافة فى هـذا العصر ويكاد يشترك كل المثقفين فى أن يأخذوا منها بنصيب ، وندر من لم يشارك فيها، وكانوا يعدونها أداة أساسية لدراسة العلوم الشرعية

وأهم ما كان يدرس بالبلاد يومئذ كتاب المفصل للزمخشرى ، وقد نال من عناية العلماء فى ذلك العصر مالم ينله كتاب آخر ؛ فظفر بشروح كثيرة منها شرح ابن الحاجب وشرح ابن يعيش وساهمت البلاد مساهمة فعالة فى الإنتاج، وغزت كتبها العالم العربى بدورها حتى صارت تلك الكتب أهم مايدرس فى تلك المادة . وحسبى أن أشير هنا إلى كتب ابن مالك وعلى رأسها ألفيته، وكتب ابن الحاجب ومن أهمها كافيته ، كما وضع ابن معطى ألفية . وقد عرفت من بين ما أنتجته هـذه البلاد أكثر من أربعين كتابا منها المطول ومنهـا الموجز ، وعرفت من الرجـال الذين ساهموا مساهمة كبيرة فى دراسة هذه المـادة زهاء مئتى عالم كان أكثر تخصصهم فيها

أما فى اللغة فقد عرفت البلاد فى ذلك العصر أمهات كتبها؛ فدرسها رجالها واختصروها حينا ووضعوا عليها الحواشى التى تتعقب ما وقع فيها من الوهم ، كما اشتركت البـلاد فى الإنتاج اللغوى ، وكان أكبر ما تمخض عنـه جهودها ذلك الـكتاب العظيم لسان العرب لابن مكرم المصرى وقد تم تأليفه سنة ٦٨٩ وجمع فيـه مؤلفـه بين التهذيب والمحكم والصحاح وحواشيه والجمهرة والنهاية ورتبه ترتيب الصحاح

ووضع العلماء فى ذلك الحين كتبا لا تصل إلى مستوى هذا الـكتاب ، وتناولوا بعض نواحى فقه اللغة فكتبوا فى الاشتقاق والاشتراك والتصحيف وغيرها ، واشتهر من علماء اللغة يومئذ طائفة كبيرة، منهم تاج الدين الـكندى وعبد الله بن برى وابن مكرم المصرى

وفى علوم البلاغة درست مصر والشام ماعرفته اللغة العربية من الـكتب التى ألفت فيها من قبل سواء فى ذلك ما وضع فى تلك العلوم بخاصة ، أو ما تناولها وإن لم يخصص لها ، وتستطيع أن ترجع إلى كتاب بدائع القرآن لابن أبى الإصبع لترى ما عرف يومئذ من كتب البـلاغة ، وندرك أن مسائلها كانت لا تزال متفرقة بين كتب التفسير وكتب الأدب وكتب النقد والبلاغة ، وقد قام علماء البلاد بجمع هذا التناثر المتفرق هنا وهناك ، ثم لم يقفوا عند هذا الجمع ، بل زادوا ما وصلوا إليه باجتهادهم الشخصى وأذواقهم الخاصة ، ووضعوا كتبا كثيرة لم أر منها إلا مالا يكاد يزيد على أصابع اليدين

وكان دارسو البـلاغة فى ذلك الحين يرمون إلى هـدفين : أولها دراسة بلاغة القرآن ، وثانيها القدرة على تذوق القول الجميل والعون على إنتاجه ، وما بقى لدينا من كتب هذا العصر يدل فى وضوح على هـذين الهدفين ، وقـد يتغلب أحدهما على الآخر فى بعض الـكتب ، فترى كتاب الإشـارة إلى الإيجـاز فى بعض أنواع المجـاز ، وكتاب بدائع القرآن ، وكتاب التبيـان فى علم البيان لابن الزملـكانى ترمى إلى بيان ما أودعه القرآن من ألوان البلاغة ، بينما تجد الغالب على كتاب المثل السـائر وكتاب معالم الـكتابة ومغانم الإصابة وكتاب تحرير التحبير ، وكتاب البديع

أمة من الأمم شـاعرة حتى فهمت أنها أمة بدائية وأن حيـاتها العقلية ما زالت هامدة جامدة . فهنيئا لمصر أن يضمحل فيها الشعر ويقل فيها الشعراء ، وأن يزدهر فيها العلم وتعتلى بالـكتاب والعلماء

وتقبل فى النهاية تحية خالصة ملؤها المودة الصادقة .

كمال بسيونى

لأسامة ضرب المثل البلاغية للتذوق والاقتداء

وأشهر مؤلفي البلاغة في ذلك العصر ابن الأثير صاحب كتاب المثل السائر وهو أشهر كتاب بقي لنا ، وعبد العظيم بن أبي الإصبع وبدر الدين بن مالك الذي اختصر المفتاح للسكاكي في كتاب سماه المصباح

— ٥ —

وظفرت المكتبة العربية في ذلك العصر بإنتاج ضخم في التاريخ ، وألوان متنوعة فيه ، وشخصيات ذوات أقدار ممتازة من الناحية العلمية والاجتماعية ، ومن الممكن أن نتبين في هذا العصر أكثر من عشرين اتجاها في كتابة التاريخ

فبعض مؤرخي العصر قد أعجب بأسرته من ناحية مجدها السياسي حينا أو العلمي حينا آخر ؛ ومنهم من اكتفى بكتابة مذكرات شخصية سجل فيها مارآه ، كما فعل أسامة بن منقذ في كتاب الاعتبار . وانتهج بعض علماء هذا العصر نهجاً صالحاً قويما فألفوا معاجم ترجموا فيها لأساتذتهم الذين كانوا يبلغون في بعض الأحيان عدة آلاف ؛ وإن هذه المعاجم لخليقة أن تعطينا فكرة حقيقية عن الحركة الفكرية والجهد العلمي في تلك الأيام ، وترسم لنا صورا للتعليم ومناهجه في تلك العصور

ومن المؤرخين من أعجب بشخصية ، فمضى يجمع أخبارها ويؤرخ لها ، وكان صلاح أوفر هذه الشخصيات حظا ، كما ظفر نور الدين والظاهر بيبرس والمنصور قلاوون بعناية مؤرخي ذلك العصر ، وبقي لنا من ذلك كتاب الروضتين

ولم يقف كثير عند حد الترجمة الفردة، بل مضى يؤرخ لطائفة معينة من الناس ، كما جمع على بن ظافر الأزدي أخبار الشجعان والظفر بن قدامة مناقب الصالحين وأخبارهم ، ومن أهم كتب التراجم النافعة الباقية لنا من ذلك العصر كتاب وفيات الأعيان الذي لا يكاد يستغنى عنه باحث في عصرنا هذا ، وكتاب معجم الأدباء لياقوت

ومضى بعضهم يؤرخ المكتبة العربية إلى ذلك العصر ، ولو أن هذه الكتب كلها بقيت لاستطعنا أن نرسم إلى مدى بعيد صورة قوية لسير الحركة العلمية في هذا العصر ، وما سبقه من عصور ، وقد ساهم الوزير القفطي بنصيب كبير في هذه الحركة ، فوضع كتابا في أخبار المصنفين وما صنفوه ، وآخر في أخبار النحاة ، وبقي لنا إلى اليوم من الكتب التي تؤرخ لبعض نواحي المكتبة العربية كتاب ابن أبي أصيبعة الذي دعاه عيون الأنباء في طبقات الأطباء

ومن أهم ما عنى به المؤرخون في ذلك العصر تاريخ المدن ، يذكرون فيه من دخل المدينة ، أو سكنها من عظماء الرجال . وربما كان أضخم كتاب وضع في تاريخ مدينة في ذلك العصر هو تاريخ دمشق لابن عساكر ولا يزال موجودا في أكثر من أربعين مجلدا ، كما أرخوا لمصر وكتبوا في خططها ، وأرخوا لغير القاهرة كأسوان والفيوم والإسكندرية

وتنوعت الاتجاهات في كتابة التاريخ السياسي يومئذ ، فمن المؤرخين من عنى بتاريخ الوزراء كابن الصيرفي في كتابه الإشارة إلى من نال الوزارة ، وعمارة اليمني في كتاب النكت العصرية ، ولا يزال الكتابان باقيين. ومنهم من أرخ لمصر على ترتيب السنين ومنهم من أرخ للدولة الفاطمية أو الأيوبية ، ومنهم من عنى بباقي أجزاء العالم العربي فوضع القفطي تاريخا للمغرب وتاريخا لليمن

وكانت العناية بالتاريخ العام أكبر من العناية بالتاريخ الجزئي ، وقد بقي لنا ستة كتب تمثل هذا الاتجاه منها كتاب الدول المنقطعة للوزير جمال الدين الأزدي، وقد تضمن أخبار الدول الإسلامية وحوادثها وغزواتها وهو مرتب على السنين ، ومنها كتاب تاريخ الزمان في تاريخ الأعيان ألفه سبط ابن الجوزي ، وكتاب أبي شاكر بطرس المعروف بابن الراهب وقد جمع فيه التاريخ من آدم إلى عصره في إيجاز وللشيخ ابن العميد كتابان في التاريخ أحدهما يدعى تاريخ ابن العميد وهو يبحث في تاريخ ما قبل الإسلام ، والتاريخ يدعى تاريخ المسلمين وانتهى به إلى سنة ٦٥٠ وكتب ابن واصل كتابه التاريخ الصالحي في التاريخ العام

ونالت الجغرافية في هذا العصر حظا كبيرا من عناية رجاله

ونوعت اتجاهاتها ، وبحسبنا أن ينتج هذا العصر كتاب معجم البلدان لياقوت الذى يعد من أهم المصادر إلى وقتنا هذا

— ٦ —

وكانت الفلسفة موضع عناية الفاطميين فقد كان الدعاة يلقنون تلاميذهم حبها ، ويحضونهم على النظر فى كلام أفلاطون وأرسطو وفيثاغورس ومن على شاكلتهم ، وينهونهم عن قبول الأخبار والاحتجاج بالسمعيات ، ويزينون لهم الاقتداء بالأدلة العقلية والتعويل عليها ، ويحيلونهم إلى ما تقرر فى كتب الفلاسفة من العلم الطبيعى والعلم الإلهى ، فكانت دراسة الفلسفة للدعوة الشيعية وإحدى دعائمها ، ورغم ما كان للفلسفة من هذه المكانة القوية لم أعثر على فيلسوف نبغ فى هذه الفترة التى شهدت الحروب الصليبية ، وربما رجع ذلك إلى ما لاقته آثار الفاطميين الفكرية من تشريد على يد صلاح الدين الذى كان سنيا يكره الفلسفة ورجالها ويراها مضللة . للعقول وتأثر الكامل خطوات عمه صلاح الدين ، ويظهر أن اضطهاد الفلسفة قد خفت وطأته بعد موت الكامل وأخيه الأشرف ، وتولى بعض دارسيها مناصب كبيرة فى الدولة كالقضاء ، أومناصب دينية كبرى كمحمد ابن أبى بكر المعروف بالأيكى وكان إماما فى المنطق وعلوم الأوائل فإنه استقر بمشيخة الشيوخ بخانقاه سعيد السعداء ، وظهر فى هذه الفترة التى استعاد فيها دارسو الفلسفة والمنطق حريتهم عالمان ممتازان هما عز الدين الإربلى المتوفى سنة ٦٦٠ وأستاذه أفضل الدين الخونجى المتوفى سنة ٦٤٦ ، وقدم الخونجى كتبا كثيرة فى المنطق للمكتبة العربية لا يزال بعضها باقيا إلى اليوم ككتاب الموجز ، وظفرت كتبه فى المنطق بعناية كثير من العلماء فشرحها بعضهم وعلق عليها آخرون

— ٧ —

وتنوع الإنتاج فى المكتبة الأدبية يومئذ ؛ فمن مجموعات تحوى رائع القول كما فى كتاب الآداب النافعة والألفاظ المختارة الجامعة لابن شمس الخلافة الأفضلى وكتاب تذكرة ابن العديم التى ضمنها كثيرا من الآداب ونوادر الأشعار . وأهم ما بقى لنا من هذا النوع كتاب خريدة القصر للعماد الأصبهانى وقد تضمنت مختارات من شعر شعراء العراق ومصر والشام والحجاز واليمن وصقلية والمغرب والأندلس ، وكتاب المطرب فى أشعار أهل المغرب لابن دحية

ومن دراسات للآثار الأدبية كحواشى الكندى على خطب ابن نباتة وديوان المتنبى وشرح شميم الحلى على مقامات الحريرى ، وبدار الكتب شرح الضرير النحوى على تلك المقامات

ومن معاجم تحوى أخبار الشعراء والأدباء كمعجم الشعراء لياقوت ، ومعجم شعراء الشيعة ليحيى بن حميدة

ومن مختصرات لكبريات الآثار الأدبية كما فعل محمد بن عبد الكريم المهندس الذى اختصر كتاب الأغانى الكبير

وفى هذا العصر نهض الشعر نهضة كبرى ، فقدم للمكتبة العربية كثيرا من الدواوين نذكر من بينها ديوان القاضى الفاضل ، وابن سناء الملك وابن مطروح والبهاء زهير

أحمد أحمد بدوى
مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

الوطنية في المهجر

للأستاذ حمدي الحسيني

سادت الحال في بلاد الشام في القرن التاسع عشر أيما سوء. وانصبت الويلات على سكان هذه البقعة الطيبة من الوطن العزيز انصباباً قويا متلاحقاً، حتى أصبحت هذه البلاد الجميلة مسرحاً لأبشع أعمال الظلم وأقبح أنواع التفريق بين العناصر، ليتمكن ذلك الظلم من السيادة. فكانت فتنة الستين المشؤومة وتبعتها فتن أخرى جعلت من بلاد الشام جحيما فاتكا بالأموال، والحريات والأنفس، فدفعت غريزة حب البقاء فريقاً كبيراً من سكان البلاد إلى التفكير في الوسائل التي يمكنهم بها أن يحققوا رغبة الحياة ورغبة الحرية. فقلبوا النظر في هذا الكون الفسيح الأرجاء باحثين عن بقعة من الأرض يمكنهم أن يعيشوا فيها أحراراً كراما فوقع نظرهم على نور الحرية والاستقلال المتألق في الديار الأميركية بعد ثورتها التحريرية الكبرى فصمموا على الهجرة وركبوا متون الأخطار إلى تلك الديار، ولا يسع المضطر إلا ركوبها. فعاشوا هنالك بالعزم الصادق والإرادة القوية فضمنوا بالكسب الحلال حياتهم وبالاندماج في النظام العادل حريتهم.

أجل! هجر أولئك العرب بلادهم وأقاموا في بلاد الناس ولكن حب الوطن بقي متمكناً في نفوسهم محركا لعواطفهم.

كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبداً لأول منزل

وما كاد يستقر الحال بهؤلاء العرب المهاجرين حتى أخذت الوطنية تعصف في نفوسهم، تثيرها المقارنات بين حاضرهم في مهجرهم وماضيهم في موطنهم. وتؤججها المقايسات بين حياة السعادة التي يشاركون فيها الأمريكيين الأحرار المستقلين، وبين حياة الشقاء التي خلفوا أممهم العربية تصطلي نارها في بلاد العرب الخاضعة لظلم الحكم وذل الجهل.

أخذت العاطفة الوطنية المكبوتة في نفوس أولئك الإخوان المهاجرين تتململ في مكابتها وتتهيأ للانطلاق من مكامنها في ظلال تلك الحرية الوارفة وأفياء ذلك الاستقلال الرطبة الناعمة. وأية وسيلة أصلح لإشباع رغبة الوطنية في مثل هذه الحال من الأدب على اختلاف أنواعه فنشأ للأمة العربية هنالك أدب وطني قوي يمثل العاطفة الوطنية القوية في نفس العرب، وأخذ هذا الأدب يشرق بنوره وينصب بحرارته على نفوس العرب في سائر أقطارهم فكان الرسول الأمين بين النفوس العربية التائقة في الغرب والشرق، والعامل القوي في تحريك الآمال بالحرية والاستقلال. وإني محدث القارئ الكريم عن شعر القوة في المهجر الأمريكي لشاعرين قويين في عواطفهما الوطنية يصح أن نتخذ من شعرهما برهانا قاطعا على أن إخواننا العرب في مهجرهم النائي يحملون من العواطف الوطنية ما نحمل، ويعملون لتحقيق الأماني القومية ما نعمل

السيد رشيد سليم الخوري — الشاعر القروي — شاعر عربي يقطن مدينة سان باولو في البرازيل، له ثلاثة دواوين شعرية وهي الرشيديات، والقرويات، والأعاصير، في يدنا منها الآن ديوان واحد هو ديوان الأعاصير، والذي يبدو لنا مما قرأناه للسيد ميخائيل نعيمة في كتابه (الغربال) عن السيد رشيد الخوري، ومما قرأناه في مقدمة ديوان الأعاصير للسيد رشيد الخوري نفسه أن ما جاء في ديوان الأعاصير هو أقوى أقسام شعر السيد رشيد الخوري على الإطلاق

لفت نظرنا في ديوان الأعاصير مقدمة الديوان لأنها مكتوبة بقلم صاحب الديوان نفسه خلافا لعادة الشعراء الذين يقدمون دواوينهم بمقدمات مستجداة من أقلام ذوي الشخصيات الأدبية الكبيرة سواء كان ذلك التقديم حق صديق على صديق، أم منة كبير يتفضل بها على صغير. ولفت نظرنا من تلك المقدمة تلك الخطوط الجميلة التي حدد بها الشاعر القروي مبدأه الوطني تحديداً دقيقا بدت بعده عاطفته الوطنية في قصائده واضحة جميلة مشرقة برغم هذا الضعف البلاغي الذي يبدو واضحا جليا على قصائد هذا الديوان النفيس

وقف الشاعر القروي أمام الأندلس فثارت في نفسه الذكريات فأراد أن يحييها باسم بلاد العرب ولكن كيف يحييها باسم بلاد ترسف بقيود الذل والاستعباد؟ إذن لابد من الصبر حتى يأذن الله للبلاد العربية بالاستقلال وحينذاك تهدى تحيتها للأندلس كما يهدى الكريم تحيته للكريم

فإذا بغداد عادت كالقديم … موطن الشعر وديوان العلوم
وإذا رن بها عود النديم … مرجعا بالحب أصداء النجوم
ومثيراً لوعة الليل البهيم … ومديرا أدمع الفجر مداما
عند هذا سوف نهديك السلاما

وإذا بيروت أم النور ولى … عن سماها أثقل الرايات ظلا
وإذا السيف من الصحراء سلا … نافضا من أربع الفيحاء ذلا
وإذا لبنان بالأمر استقلا … فلبسنا العز أو متنا كراما
عند هذا سوف نهديك السلاما

واسمعه الآن يقرر حق الاستقلال للأمة ويدلها على الوسيلة الصحيحة لإحقاق هذا الحق

إن ضاع حقك لم يضع حقان … لك في نجاد السيف حق ثان
ما مات حق فتى له زند، له … كف، لها سيف، له حدان
فابعث سيوف الهند من أغمادها … تبعث بها الموتى من الأكفان

وإليك هذين البيتين من قصيدة له في الثورة السورية الكبرى يخاطب بها العربي المقاتل في سبيل الحرية والاستقلال

إذا حاولت دفع الضيم فاضرب … بسيف محمد واهجر يسوعا
«أحبوا بعضكم بعضا» وعظنا … بها ذئبا فما نجت قطيعا

وإليك هذه القطعة من قصيدة نظمها إبان تلك الثورة السورية:

بدت ولهى ممزقة القناع … فقلت لها فديتك لا تراعي
فدون حماك أبطال الموالي … مؤزرة بأبطال اليراع
رماح كالأفاعي مشرعات … وأقلام كأنياب الأفاعي
أطلي واشهدي منهم هجوما … ترى وثب القلاع على القلاع
وهل عربية هذا أخوها … تراع إذا دعا للحرب داع

° ° °

السيد إلياس قنصل شاعر عربي يقيم في مدينة بونس إيرس عاصمة الأرجنتين له في يدنا ديوان السهام، وهذا الديوان مصدر بمقدمة بقلم صاحبه يرجع لها الفضل في دراستنا لنفسية الشاعر لأنها وصفت لنا هذه النفسية القوية أجمل وصف؛ كما صورها لنا شعر الديوان أجمل تصوير

أعجبنا في هذا الشاعر ثقته بنفسه وثقته بأمته فهو يعتقد بأن في إمكان الأمة العربية أن تمد من نفسها قوة ترجع بها سؤددها وتهوي لذاتها جبروتا يرد لها التالد من عزها، وهو لا يرى في قوة الغاصبين للوطن العربي إلا ضعفا بجانب اتحاد الأمة العربية وثقتها بنفسها واعتمادها على حقها، وهو واثق بقدرته على تحريك شعور الثقة بالنفس والاعتماد على الذات في نفسية الأمة بقصائده القوية التي يقذف بها في وجه الضعف والونى بلا شفقة ولا رحمة، وإنك لترى هذا الواثق بنفسه المؤمن بأمته، لا يقيم للفشل في الجهاد وزنا، فهو لا يخاف الفشل لأنه مؤمن بالنجاح، ولهذا فهو يدعو الأمة العربية بحرارة للجهاد في سبيل الحرية جهاداً لا يعتوره الخوف من الفشل ولا تخالطه الخشية من الكلل والملل. ومن حق هذا الشاعر علينا الآن أن نورد له هذه العبارة التي جاءت في مقدمة ديوانه موجهة إلى فريق الضعفاء من الأمة الذين يقفون من المؤمنين موقف اللائم اللاحي

« ليست حمية الشباب هي التي تدفعني إلى هذه الحماسة، ولكنه إحساس بالإرهاق الذي يعانيه وطني المفدى، وما هذه الجرات المشبوبة حماسة — لو تعلمون — وإنما هي إيمان راسخ »

ولا ننسى ونحن نولي هذا الشاعر إعجابنا بقوة عاطفته الوطنية أن نوجه إليه عتبنا لضعفه البلاغي الذي لو تنزه عنه شعره لجاء آيات بينات في القوة معنى ومبنى، واسمعه الآن ينشد نشيد الجد.

وإن ناصبتك الحرب دنياك كلها … وحقك من ليل الحوادث غيهب
فلا تشك فالشكوى احتضار مخيب … ولن يستحق النور شاك مخيب
بل استل من عالي إبائك مغمدا … تفاءل فيه من مضائك كهرب
وكافح به صرف الزمان وقل له … سأبعث فيك الرعب من حيث تهرب

واسمعه يخاطب شباب البلاد الناعمين بتوافه اللذات

هبوا الشباب التذاذاً بالحياة أما … في عالم الجد للذات ميدان؟
هذي الليالي التي تقضونها عبثا … يبكي الإباء عليها وهو خجلان
يا حبذا لو رصدتم من شهودكم … ساعاً بأي العلا والعز تزدان
إن البلاد إذا ضلت شبيبتها … فكل آمالها فقد وخسران

وإليكم هذه القطعة الجميلة القوية من قصيدة له نظمها على لسان ثائر دمشقي يودع عروسه قبل الالتحاق بالثورة الكبرى

بلادي تدعوني إلى حومة الوغى … ودعوتها الغراء أمر مقدس
فإن لم أكن في مطلع الجيش هاجما … تمور بصيحاتي الأعادي وتوجس
فلا أبهجت قلبي نسيمات دمر … ولا ضمني في شامة الأرض مجلس

ارهاصات فى الجزيرة

قبيل البعثة المحمدية

للأستاذ الطاهر أحمد مكى

— ١ —

كان الاعتقاد السائد حتى القرن الثامن عشر، أن الحركات الإصلاحية وليدة العبقرية الفردية، فهى مدينة بوجودها لهم، ومتوقفة فى بقائها عليهم، وعلى مقدار ما يوجد من عباقرة، يتوقف سير الحياة أو يندفع، وتبطىء عجلة الزمن أو تسرع، ويشغر مكان القيادة أو علا، حتى إذا جاء دوركايم: حطم هذه النظرية، وأقام على أنقاضها صرحاً سامقاً لنظرية أخرى، وصنع من أشلائها مذهباً عالياً لرأى أقوى، يرد كل ظاهرة فى المجتمع إليه، وينسب كل رقى إلى تفاعله، ويجرد الفرد من سلاح الخلق والابتكار!...

وهو مذهب حرى بأن يقف الإنسان عنده طويلا، وأن يتملى حقائقه مليا، فيقوده فى رفق إلى مواطن الخفاء. فيما نجح من دعوات فبقى، وما فشل من مذاهب فتلاشى؟ وما صلح من أديان فخلد، ويرد كل نتيجة إلى أسبابها، وكل ظاهرة إلى عللها، وما الفرد إلا أثر لمكانه وما اتصل به، ولزمانه وما استتبعه، ولبيئته وما اعتمل فيها!...

فعلم الاجتماع الحديث يقرر أن الظواهر أيا كان نوعها، من خلق المجتمع وليست من صنع الفرد، وحقيقة أى مجتمع لا وجود له بدون أفراده، ولكن من تجمع هؤلاء واحتكاكهم، ينشأ شىء يختلف كل الاختلاف عن خواطرهم الفردية، وقد يبدو غريباً أن ينشأ من اجتماع عناصر ما، حقيقة خارجة عنها فى عالم المادى، ولكنها فى عالم الطبيعة أمر ظاهر ومألوف، «فكما أن الخلية الحية لا تحتوى على شىء آخر غير الجزئيات المعدنية، كذلك لا يضم المجتمع شيئاً غير الأفراد، ومع ذلك فإنه من المستحيل بداهة أن تحتوى ذرات الإيدروجين أو الاكسوجين أو الأزوت أو الكربون على الظواهر المميزة للحياة، وبناء على ذلك فلا يمكن إلا أن تتخذ الحياة المادة الحية بأسرها مستقراً لها، فهى توجد فى الكل ولا توجد فى الأجزاء... وحينئذ فليس لنا إلا أن نطبق هذا المبدأ على علم الاجتماع» (١) لأن ما هو ممكن فى عالم المادة، فهو فى عالم الأناسى أمكن، حيث الأفكار تتفاعل، والنظرات تمتزج...

وما أناقش مذهباً رست دعائمه، وتوطدت أركانه، أو أن أشرح طرائقه ومناهجه، أو أسوغ قوانينه وقواعده، وإنما أعرض لموقفه من الدين، فهو عندهم ظاهرة اجتماعية وإن جاء به الوحى، وأثر أرضى وإن نزل من السماء، وخلق جمعى وإن نهض به رسول، ما دام المجتمع قد أخذ به ورضيه، وأخلد إلى أوامره وسكن إلى نظمه. ولن يستقر دين فى مجتمع ما، إلا إذا انسجم مع طبيعته، وواءم رقيه الفكرى وتطوره الاجتماعى، وكان ممداً لماعه، متطلعاً لأحداثه، فالرسل مترجمون عن حالة، والمجتمع مهيأ لقبولها، يفهم مظهرها، ويستسيغ حقائقها، ويرنو إلى مثلها العليا. ولأمر ما، كان الرسول بشراً، يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق!

«إن الدين لون من ألوان التعبير الإنسانى عن العواطف

---

(١) E.D, wrkeim les Régles de M ethode Sociologique p 10 نقلا عن «المنطق الحديث ومناهج البحث» للدكتور محمود قاسم ص ٢١٠

فراقك خطب منه بين جوانحى	سهام بمصاب الحزن والسهد تنغمس
ولكن حمل الذل موت وعاره	إزاء عواديه يضيع التحرس
وإلا فلا تبكى على فاننى	أموت قرير العين بالعز أعجس

وإليكم هذه القطعة القوية منتزعة من إحدى قصائده العامرة بالقوة

وما من أمة فى الأرض نالت	بغير السيف حقا بات يذرى
وليس ينال الاستقلال إلا	إذا سالت دماء القوم نهرا
وشعب يبتغيه دون جد	لشعب سادر ما زال غرا

عمرى الحسينى

والميول والمثل العليا ، وإن هذا اللون من ألوان التعبير متصل أشد الاتصال بأمزجة الأفراد والأمم ، ممثل لها تمثيلا صادقا قويا ... وهو طريق من الطرق التي تسلكها الإنسانية إلى الجمال والحق والمثل العليا » (١) ومن ثم تعددت الأديان ، لا بتعدد العصور وحدها ، وإنما بتعدد الأمكنة أيضا ، لأن دينا ما ، قد ينهض في موطن ويكبو في غيره ، وقد يثمر في مجتمع ويجدب في سواه ، فالدين الإسلامي مثلا ، وقف عند حدود معروفة ودول معلومة ، ورغم الجهود الجبارة التي بذلها المسلمون في اجتياز هذه الحدود ، لم يكتب لهم النجاح ، ولم يقدر لهم التوفيق ، على حين أن هناك أمما كن انتشر فيها بطبيعته ، ولم يجد صعوبة ما في أن يتثبت فيها وأن يقوى ! ...

وأنا وأنت وغيرنا ، هل كان لنا فضل في اتخاذ الإسلام دينا والإيمان به عقيدة ، أم ترانا خرجنا إلى الحياة ، فوجدنا آباءنا كذلك ، فتابعناهم وسايرناهم وسلكنا نفس الطريق الذي يسلكون ؟ ... هل استطاع أحد ما ، مسلما كان أو مسيحيا أو يهوديا أو حتى بلا دين ، أن يصطنع الجدة ساعة ، فرأى التابعة كسلا ، والتقليد خمولا ، والإذعان ضعفا ، فنقب وبحث ودرس وقارن ، وانتهى إلى عقيدة نيرة ، يؤمن بها لأنها حق ، ويخضع لها لأنها صواب ؟

إنما نحن أسارى المجتمع « فالطفل حين يدخل العالم لا يحمل معه سوى طبيعة بيولوجية ، غير خلقية أو اجتماعية ، تستطيع أن تتكيف بجميع الهيئات والأشكال ، فهو لا يختار لنفسه لغة دون أخرى ، أو ديانة دون غيرها ، بل هو المجتمع الذي يضطره إلى اتباع الديانة التي يشب عليها ، أو اللغة التي يتكلم بها ، والواحد من ساعة نشأته يؤلف جزءاً من مجتمع له تعاليمه وأخلاقه ولغته وديانته وفنه وعاداته وتقاليده وتاريخه وأنظمته وخرافاته ومثله الأعلى ، ولابد له من التقيد بهذا الميراث والعمل به » (١)

هذا هو رأي علم الاجتماع في الأديان ، وقد اهتدى إليه قوم يدرسون المجتمع كما هو ، لا يطيرون مع الملائكة ، ولا يمتطون أجنحة الخيال ، ولا يركبون متن الفرض ، ولا يجبنون إزاء الحق ، ولا تميهم المثل العليا عن واقع الحياة ...

وفي ضوء هذا العلم ، وعلى هدى منه ؛ نريد أن نستشف حال الجزيرة العربية قبيل البعثة المحمدية ، لنتفهم حالها ... أجاء الإسلام فصار بها إلى غير ما أحبت ، وساقها إلى غير ما هويت ، ونقلها من حال كانت فيها ، إلى حال لم تكن تريدها ؛ أم أن تيار الحوادث ؛ كان ينبئ بما سيتمخض عنه الغد ، وما سيحمله المستقبل ، وما ستأتي به الليالي في قابلها القريب أو البعيد ؟ ...

« للكلام صلة » **الطاهر أحمد مكي**

كلية دار العلوم — جامعة فؤاد الأول

(١) للشاعر الهند طاغور : نقلا عن مقال لمحمود المنجوري بمجلة « الحديث » ص ١٦٠ العدد ٤ سنة ١٦

(١) علم الاجتماع الديني ، يوسف باسيل شلحت ص ٩

٢٣ - ٣٦

خواطر مرسلة:

هنا موضع الغرابة

للأستاذ حامد بدر

قال أخى: غريب أن تتلاشى صفة الحياة عند أهلها

قلت: ومن أهلها؟

قال: النساء، فى كل يوم أراهن يبتدعن فنونا جديدة من التبرج، وينحدرن إلى درك يفقدن فيه ما يجب أن يصان..!

قلت: أنت طيب القلب يا أخى إلى حد أعيذك منه، أو بتعبير أقرب إلى الصراحة، وأبعث من المواربة: أنت أبله!

فاربد وجهه وقال: كيف تصفنى بالبلاهة على أن عجبت من أنثيات تصافح بهن الطرق، لا يعرفن الحشمة، ولا يبالين الحياء.!

قلت أنت أبله، لأنك تستغرب شائعا، والغرابة تكون فيما ندر، لا فيما كثر، فاستغرب الأدب إن عمت البلوى بسوء الأدب، واعجب من الحياء إن أحدقت المصيبة بضياع الحياء، ألست تقول إن الحياء قد قل؟

قال: نعم

قلت: إذن فالحياء هو الذى صار غريبا، وليس الغريب ضياع الحياء

صار ما بيننا مألوفا، ولو قلت إنه عيب سلقوك بألسنة حداد من السخرية والتهكم، واتهموك بالتأخر، والرجوع إلى الوراء! فما أسهل الانحدار، وما أكثر أنصاره؟ وما أقل الجرأة فى هدم المنكر، أو إنكار القبيح!

إن الشرع يحرم على المرأة أن تبدى زينتها إلا لبعلها أو من فى حكمه، والبعل ذاته يراها فى تبرجها وابتذالها نهبة للعيون، فى السوق، وفى الملهى، وفى الطريق العامة، ليلا ونهارا.. فلا يحرك ساكنا، ولا يبدى انفعالا.. فأية غرابة فيما ألفناه، وتعودنا أن نراه، فلا نغضب ولا نعجب ولا نثار؟!

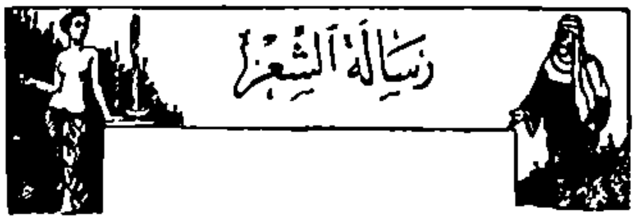
كان اليسير مما نشهده اليوم موجبا لعجب يثور، وغيرة تحمى، وحمية تنفجر، فى زمن كانت المرأة فيه محتجبة مصونة. فإذا قضت الضرورة الملحة بظهورها بدت فى الثوب الفضفاض، والرداء السابغ، تمشى على استحياء، لا يتبين الرائى وجهها، ولا ما خفى من حليها. فإن رأيت اليوم مثل هذه المرأة فاعجب كثيرا ودعنا نعجب معك، لأن تلك هى الصورة النادرة التى تبعث الدهش، وتثير العجب!

ثارت عاصفة طيبة ضد الصور الخليعة التى ينشرها بعض الصحف والمجلات، ولا أدرى فى أى مكان استقرت العاصفة، بعد أن كان أثرها دوام الحال على ما هو عليه من ظهور تلك الرسوم منتشرة فى أبعد الأوضاع من الدين والأدب!

وكل فكرة ترمى إلى محاربة الغواية، إن لم تجد أنصارا مجندين، كان مصيرها إلى الركود، وقد ننجو من الضعف الخلق القاتل إن أقلعنا عن عبادة المظاهر التقليدية الزائفة، والجرى وراء الأهواء، من غير تدبر ولا أناة

وأخشى أن يقتلنا هذا الضعف ما دمنا ننظر إلى المحافظين والمحافظات نظرة تعجب واستغراب

حامد بدر



اللحن الجريح ..

للاستاذ عبد القادر رشيد الناصري

ياحبيبى . . أنا فى عالم أحزانى أغـــنى
كهزار خنقت ألحـانه كف التجنى
كم تمنيت ألقى العمر فى دنيـا التمنى ؟ !
لا تلمنى إن تمردت على قيدى وسجنى

كيف أحيـا وضباب اليأس أعشى ناظريا
ومنى دنيـاى كالحلم تولت من يديا
والتقاليد أثارت غضب الجهـــل عليا
وأبى جرعنى صـــابا وربانى شقيـــا
خلنى فى صحبـــة الأحزان مجترا لحزنى
من معيـدى لصباباتى وأكوابى ودنى

ما لقلبى يتغـنى ودماه تتجـــارى
ودموعى كشآبيب غمام تتبـــارى
لست أبـكى لخيـال طاف بالفـكر ومارا
أو لمال بددته الـكف أو حـــلم توارى
إنمـا أبـكى على شعرى وآمالى وفـنى
حين أغفت فى دجى النفس فدعنى لا تلمنى

ياحبيبى ملـنى الصـبر وأضنتنى الهواجس
وتراءى العـالم البسـام فى عينى عابس
لم تعـد تفتننى الدنيـا ولا الحور النواعس
وكرهت الراح واللحن وإيناس المجالس
ملت الألحان أذناى وقد أنـكرت أذنى
وتلفت عسى عينى ترى لألاء حسن

يا فؤادى أين ولت من دجى الليـل الشمـوس ؟ !
أين فجرى ! أترى دارت على فجرى النحوس ؟ !
أم هـل الصبح كأيـكار عمانى شموس
لم أزل أرصد فى الغيب غدى وهو عبوس
وأمنى النفس والأيام كم خيبن ظنى
آه لو ترجع أيامى . وهل أواه تغنى ؟

° ° °

أنا كالزنبقة العذراء لـكن بين شوك
وكقيثار جريح اللحن مخنوق التشكى
وفؤادى الواحـة السمحة فى صحراء شـك
كم ذئاب روعوا أمنى وقالوا لم تبـكى
كيف لا أبـكى وقـد رويت بالأدمع لحنى
بعد ما أرقصت دنياى على اللحن المرن

بغداد عبد القادر رشيد الناصرى

بعد الأوان ! ..

الاستاذ محمد قطب

هذه اللهفـــة تجتاح حياتى
وحنين موغل فى جنباتى
ولهيب ثائر فى خفقـاتى
ليت شعرى ! بعد أن عشت زمانا فى سبات
أقطع الأيام فى صمت بليـد وأناة !

° ° °

ما الذى أيقظ قلبى من سباته
ما الذى هيج منـه حرقاته
أى شيطان ثوى فى جنباته
يشعل الثورة فيه ، ويغذى جمحاته !
ويشيع اللهفة الحرى فتذكى رغباته ؟

• • •

أيها القلب ! لقد عشت شقيا
لم تذق من متعة الأحياء شيا
قد تمشقت سرابا سرمديا
عشت أيامك فيه ، فكأن لم تك حيا
وطواك الزمن الساخر فى البيداء طيا !

• • •

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

معركة الإسلام والرأسمالية :

هذا عنوان كتاب جديد للأستاذ سيد قطب، كتاب يعرض فيه سوء حالة المجتمع وما يشيع في نفوس أفراده من قلق بسبب الأوضاع القائمة الظالمة، ويعنى خاصة — عند الكلام على هذه الأوضاع — بكشف الستار عن الجاذبية الشيوعية التي تسحر ألباب الكادحين إذ تعدهم بالخلاص مما يعانونه من بؤس وحرمان ذاهباً إلى أن الخلاص الحقيقي الذي يحفظ على الإنسانية كرامتها وحريتها إنما هو في الإسلام: نظامه وتشريعه وحكمه. وهو يهاجم الأوضاع القائمة هجوماً عنيفاً، يأتي عنفه من الصراحة والبصر بحقائق الأمور. ومن هنا يبدو الكتاب «حريفا» يبلغ في غرضه مالا تستطيع أن تبلغه الوسائل الأخرى من كتابة بريئة أو غير بريئة ... ذلك لأن المؤلف يلذع ثم «يزيت» موضع اللذع بدسم الإسلام

هذا هو الكلام الجد ... نحن في أحوال سيئة ما في ذلك شك، أحوال يسودها الاستغلال وتتحكم فيها الرأسمالية، ولكنا لا نريد شيوعية . ولماذا نلجأ إلى الشيوعية « إذا كان هناك نظام آخر يمنحنا الخير الذي تمنحه لنا الشيوعية ، ويعفينا من بشاعة الثراء الفاحش وفوارق الطبقات ، ويحقق لنا مجتمعاً متوازناً لا حرمان فيه ولا افتراء . . ثم يمنحنا في الوقت ذاته غذاء الروح ، وحرية الفكر ، والشعور الإنساني، الأرق بالإنسان والحياة . ما القول إذا كان هناك نظام ، لا يدعنا ذيلا في القافلة ، قافلة الشيوعية أو قافلة الرأسمالية ... إنما يمنحنا مع العدالة الاجتماعية المطلقة في الداخل ، كرامة دولية عزيزة في الخارج ، ويرد إلينا اعتبارنا في المجتمع الدولي ؛ وقد يعفينا من ويلات الحرب ، ويعفي الإنسانية معنا من هذا البلاء » (١)

ويلخص الأستاذ سيد قطب مشكلاتنا الاجتماعية في : سوء توزيع الملكيات والثروات ، ومشكلة العمل والأجور ، وعدم تكافؤ الفرص ، وفساد جهاز الحكم وضعف الإنتاج ؛ ويعرضها – واحدة واحدة – على الإسلام ، ويشرح علاجه الحاسم لها ، ثم يخلص إلى أن الإسلام يجب أن يحكم ليستطيع أن يطبق وينفذ مفنداً ما يوجه إلى حكم الإسلام من مطاعن وما يقف في سبيله من عداوات هي عداوات الصليبيين ، والمستعمرين ، والمستغلين والطغاة ، والمحترفين من رجال الدين ، والمستهترين والمنحلين ، والشيوعية والشيوعيين

وقد كتب الأستاذ المؤلف هذا الكتاب على هدى الثقافة الإسلامية المستقاة من منابعها وأصولها ، وفي ضوء الإلمام بالمذاهب الحديثة ، واستعان بأداة الكاتب المبين وثقافة الناقد البصير . وقد ألف قبله كتاب « العدالة الاجتماعية في الاسلام » والكتابان يرميان إلى هدف واحد ، وإن كان كتاب العدالة يميل إلى الدراسة الجامعة للأصول ، أما كتاب المعركة فهو أميل إلى التطبيق . ويختلف الكتابان أيضا في الأسلوب من حيث هدوء العدالة وثورة المعركة

(١) ما بين الأقواس فقرات من كتاب «معركة الاسلام والرأسمالية»

لِمَ تصحو اليوم من بعد ركود ؟
ما الذي عدت ترجى من جديد ؟
دورة أخرى على الأفق الشريد !
وعذاب الأمل الضائع في التيه المديد !
هكذا يذهب عمري في ضلال وشرود !

* * *

لا تطع يا قلب داعي الخفقان
لا يغرنك شيطان الأماني !
ما غناء الصحو من بعد الأوان ؟
ضل ركب العمر يا قلب ببيداء الزمان
وتغشى اليأس والظلمة أعماق كياني

محمد قطب

وإنى لأغبط صديق الأستاذ سيد على هذه الروح القوية المنبثة فى كتابه « معركة الإسلام والرأسمالية » وأتمنى أن يكون لى تفاؤله .. ذلك أنى أرى أكبر عدو لسيادة الإسلام وعدالته إنما هـــو فى عقولنا .. حقا هناك العداوات التى ذكرها وبين أساليبها ، وهى عداوات ضارية ، ولكن العداوة الأشد ضراوة هى فى داخلنا ، هى فى فهمنا العامى للإسلام ، وليس هذا الفهم مقصوراً على العوام ، بل هو أيضاً فى أذهان المتعلمين الذين يتعلمون — ولا يزالون — على الأسس التى وضعها المستعمرون وقصدوا فيها إلى المباعدة بيننا وبين الإسلام ، بل هو أيضاً فى أذهان من يسموهم « رجال الدين » الذين يجارون ذلك الفهم ، من أثر العكوف على الجدل العقيم الذى تزخر به الشروح والحواشى

وقد بين الأستاذ ذلك فى هـذا الكتاب ، ولكنه متفائل قوى الأمل فى النصر القريب ، ولكنى لا أرى محاربة العدو الكامن فى العقول أمراً هيناً ، ولا ألمح لهذه المحاربة إلا طلائع قليلة العدد أغبطها وأرجو لها التوفيق

العيد الألفى لابن سينا

ذكرت فى الأسبوع الماضى أنه تقرر تأجيل الاحتفال بالعيد الألفى للفيلسوف ابن سينا إلى ربيع سنة ١٩٥٢ وكان مقرراً إقامته فى أكتوبر سنة ١٩٥١ ببغداد ، ووعدت ببيان سبب هذا التأجيل .

كشكول الأسبوع

□ توفى يوم الأحد الماضى المغفور له عبد العزيز فهمى باشا ، والفقيد الكبير من القادة الأعلام ، وكان رحمه الله إلى جانب حياته السياسية والقضائية الحافلة بالجلائل — أديبا مفكرا ممتازا ، تجلى أدبه الرفيع وأسلوبه الحر فى كتاباته المختلفة وأبحاثه التى تمتاز بقوة الحجة وبراعة التدليل وله جهود بارزة فى خدمة اللغة العربية وخاصة بعد أن اختير عضوا بالمجمع اللغوى وله رسالة قيمة فى إصلاح الكتابة العربية . وقد ظل متوقد الذهن لم يمتنع عن المشاركة الفكرية حتى آخر حياته وقد جاوز الثمانين من عمره .

□ انتهى تصوير فلم « ظهور الإسلام » المقتبس من كتاب « الوعد الحق » لمعالى الدكتور طه حسين باشا ، وسيكون معدا للعرض فى القريب العاجل . وقد أطلق معاليه اسم « ظهور الإسلام » على الفلم واشترك فى إعداده فنيا مع منتجه ومخرجه الأستاذ ابراهيم عز الدين

□ عثر سعادة محمد فؤاد عثمان بك مدير الدقهلية فى مكتبة المجلس البلدى بالمنصورة على نسخة خطية لكتاب « إصلاح المنطق » لابن السكيت المتوفى سنة ٢٤٤ هـ وهى أقدم الأصول المدونة لهذا المؤلف لأنها مصورة بكتابة من خط أحمد بن فارس مؤرخة فى سنة ٣٧٥ هـ . وقد رفع عثمان بك هذه النسخة إلى معالى كبير الأمناء لتحفظ فى مكتبة قصر الجوهرة .

□ قرر المجلس الأمريكى للدراسات الاجتماعية ترجمة كتاب « العدالة الاجتماعية فى الإسلام » للأستاذ سيد قطب — إلى اللغة الانجليزية ونشره فى أمريكا للتعريف بسياسة الاسلام الاجتماعية . وسيقوم بترجمته المستشرق يوحنا (جون ب . هاردي) الأستاذ بجامعة هالفكس بكندا .

□ نشرت مجلة « آخر ساعة » أن السيد عبد الرحمن المهدى باشا تحدث إلى بعض زواره من المصريين فى داره بالخرطوم ، فقال إنه عثر على لفظ يعتقد أنه خير كلمة تطلق على التلفزيون ، وهو « مرناه »

تقوم بالنظر فى هـذا الاحتفال الإدارة الثقافية بالجامعة العربية وهى دائمة الاتصال بالحـكومة الإيرانية للتنسيق بين الاحتفال العربى المعتزم إقامته فى بغداد وبين الاحتفال الإيرانى المعتزم إقامته فى طهران . ولما تقرر تحديد أكتوبر سنة ١٩٥١ للاحتفال ببغداد أبلغت الحكومة الإيرانية بذلك فردت بأن هذا الوقت يصادف شهر المحرم وهو شهر حداد عند الشيعة فلا تقام فيه حفلات ، وأن الحكومة الإيرانية تعمل فى بناء ضريح لابن سينا فى همدان ولم يتم بعد ولا ينتظر أن يتم قبل أكتوبر سنة ١٩٥١ ويحسن أن يكون الضريح مهيأ عند الاحتفال ليكون من تمام العناية بهذه الذكرى . ولذلك قررت اللجنة المؤلفة لهذا الغرض بالإدارة الثقافية أن يقام الاحتفال ببغداد فى النصف الثانى من شهر مارس سنة ١٩٥٢ وتم الاتفاق مع إيران على هذا الموعد وعلى أن يقام احتفال طهران فى النصف الأول من إبريل ، إذ ينتقل المحتفلون ببغداد إلى طهران ويتم الاحتفال على هذه الصورة التعاونية

واللجنة العامة المؤلفة فى الإدارة الثقافية للاحتفال بالعيد الألفى لابن سينا مكونة برياسة الدكتور أحمد أمين بك وعضوية الدكاترة والأساتذة إبراهيم بيومى مدكور ومحمد البهى ومحمد يوسف موسى وأحمد فؤاد الأهوانى ومحمود الخضيرى والسيد محمد تقى القمى (من

إيران) وشارل كوز مدير المعهد الفرنسي بالقاهرة والمستشرق ماسينيون عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية والأب جورج شحاته قنواتي . وقد ألفت لجنة فرعية لنشر مؤلفات ابن سينا من بعض هؤلاء الأعضاء . وهناك لجان فرعية بالعراق وسوريا ولبنان ، العراقية برياسة الدكتور ناجي الأصيل والسورية برياسة الدكتور جميل صليبا واللبنانية برياسة الدكتور عمر فاروخ . وكل منها تعمل في بلادها للتحضير للاحتفال العام ببغداد .

ويتمثل نشاط الإدارة الثقافية واللجنة المؤلفة بها فيما يأتي :

١ — جمع المخطوطات والوثائق المشتملة على مؤلفات الرئيس ابن سينا في المكتبات الشرقية والغربية والمكتبات الخاصة ، وما عسى أن يكون لدى بعض الأفراد . وقد أرسلت بعثات لتحقيق هذا الغرض إلى اسطنبول وسوريا وإيران وبريطانيا والفاتيكان والأسكوريال ، فصورت كثيراً من مؤلفات ابن سينا وأتت بما أمكن الإتيان به منها .

٢ — قررت اللجنة البدء بنشر قسم من كتاب « الشفاء » وهو الخاص بالمنطق بعد مراجعة نسخه المخطوطة المتعددة وهو الآن تحت الطبع ونشر المجموعة الفلكية والمجموعة الرياضية لابن سينا ، وعهدت اللجنة إلى المختصين في كليتي العلوم والهندسة بجامعة فؤاد الأول لإنشاء لجنتين فرعيتين لمعالجة هذين الفرعين وكانت اللجنة الأب جورج شحاته قنواتي بالكتابة عن مؤلفات ابن سينا ، فأنجز الأستاذ هذا العمل في مؤلف ظهر أخيراً بعنوان « مؤلفات ابن سينا » وكلفت اللجنة أيضا الأستاذ محمود الخضيري بكتابة ترجمة حياة ابن سينا وكانت اللجنة قد تلقت من عالم باكستاني في لندن ، هو الدكتور رحماني ، أنه مهتم بنشر جزء النفس من كتاب الشفاء ، فقررت نشر هذا الجزء أيضا على أن يتعاون فيه الدكتور رحماني والدكتور الأهواني ، وقد يحضر الأول إلى مصر لهذا الغرض . وذلك كله عدا ما قد تنشره اللجان الفرعية في العراق وسوريا ولبنان

٣ — فيما يختص بالمهرجان الذي سيقام ببغداد ، رؤى أن تتناول المحاضرات الشؤون الرئيسية والقضايا الكبرى في شخصية ابن سينا وإنتاجه . أما الموضوعات التي تعالج نقطا خاصة لم يسبق علاجها فتعالج في بحوث فنية دقيقة . وكانت اللجنة لفيفا من المستشرقين بالكتابة في موضوع من موضوعات عينتها ليلقى في المهرجان ، وقد رد معظمهم بالقبول ، ووصلت بالفعل أبحاث من بعضهم ، ومن هؤلاء البروفسور جاردي الأستاذ بمدرسة اللاهوت في جامعة السربون

عباس خضر

لأنه من « رنا » بمعنى رأى وسمع . وأذكر أن هذا اللفظ « مرناة » من وضع الأستاذ المرحوم علي الجارم بك ، وقد كتب عنه في « الأهرام » من نحو اثنتي عشرة سنة مقترحا إطلاقه على التلفزيون .

◻ ينص التشريع الإسلامي على أن أي بلد من بلاد المسلمين يعتدى عليه فإن جميع البلاد الاسلامية تعتبر في حالة حرب مع المعتدي . وهذه فرنسا تنكل بإخواننا في مراكش ، فإما أن نفعل شيئا ، ولا أقل من المقاطعة العامة وقطع العلاقات السياسية أو قولوا إننا غير مسلمين !

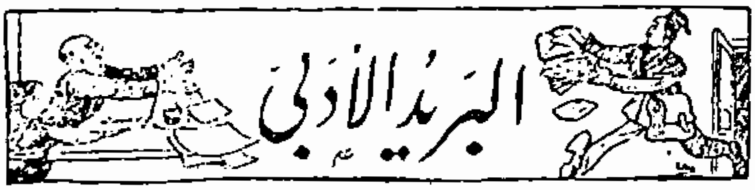
◻ عين الدكتور زكي المحاسني مراقبا عاما للبعثات في المفوضية السورية بمصر . والدكتور المحاسني ليس جديدا على مصر ، فهو خريج جامعة فؤاد الأول وإنتاجه الادبي معروف وهو زوج الكاتبة النابغة السيدة وداد سكاكيني ، ونرجو أن تكون عودتها إلى مصر بشيرا باستئناف نشاطها الادبي فيها .

◻ تصحيحا لما ذكرناه في الاسبوع الماضي عن مؤلفات أندريه جيد المنقولة إلى العربيه نذكر أن كتاب « الباب الضيق » ترجمه الاستاذ نزيه الحكيم ، وهو مصدر برسالتين متبادلتين بين جيد وبين معالي الدكتور طه حسين باشا .

◻ انتهت مدة خدمة الاستاذ أمين مرسي قنديل مدير دار الكتب المصرية — في ٢٧ فبراير الماضي ، ويصرف مرتبه الآن باعتبار أنه في المعاش ، ولكنه يأمل أن تمد له مدة الخدمة ، ولذلك يستمر في العمل ويصرف الأمور في الدار ويركب سيارة الحكومة ، وإن لم يصدر قرار مد المدة بعد

◻ عاد الاستاذ يوسف وهبي بك إلى رياسة الفرقة المصرية ، وسيبدأ العمل مع الفرقة بمسرح الأزبكية يوم ١٠ مارس الحالي . ولا شك أن للاستاذ جمهوره وجهوده الفنية المرموقة ، ولكن مما يؤسف له أنه لا يزال يصر على أن يتقدم بمؤلفاته القديمة ، وسيبدأ بأحدها .. وليته يقنع بجبر مافيه كمثل ويدع ما لقيصر لقيصر

◻ وجهت لجنة الشؤون المالية بمجلس النواب نقدات إلى الاذاعة المصرية عند مناقشة ميزانيتها ، ومن هذه النقدات « أن برامج الاذاعة أصبحت نسخة مكررة لا جديد فيها ولا ابتكار ، وأن العناصر غير الصالحة من المذيعين والفنانين والمحاضرين لا تزال تفرض نفسها على هذه البرامج فرضا



رحلة معالى وزير المعارف الى الدقهلية

حركة بعد سكون، ونشاط بعد خمود، وإشراق بعد عبوس، وبشر بعد قطوب؛ وجود بعد بخل، وسخاء بعد شح، وبذل بعد ضن؛ تلك هي حال إقليم الدقهلية وحاضرته (المنصورة) في الأسابيع الماضية، لما استفاضت الأنباء بأن الدكتور طه حسين باشا سيزور هذا الإقليم ليبث فيه العلم وينشر منه العرفان. ولقد كنت ترى الناس جميعاً في القرى والمدن لا يجرى على ألسنتهم غير اسم طه حسين، ولا يتحدثون إلا عن علم طه حسين، ولا يشيدون إلا بفضل طه حسين

ولم يكن هذا الانقلاب الذي شمل الحياة والناس في هذه الأيام الطيبة، لأن وزيرا المعارف سيزورهم، أو لأنه سيأتيهم ليفتتح معاهد للعلم في بلادهم! فهذا شيء قد ألفوه من قبل كثيراً وأصبحوا لا يهتمون به، ولا يلتفتون إليه. وكم من وزير قد زارهم وأحيطت زيارته بضجيج المظاهرات، وعجيج الهتافات؛ مما لا يهز إلا الهواء ولا يخط إلا على الماء، ولا يبقى له أثر في الأرض ولا في السماء

ولكن هذا الانقلاب قد كان لأن الذي سيزورهم، ويشرف بلادهم هو الدكتور طه حسين، ذلك الرجل العجيب في علمه وإرادته، وفي عزمه وفي ثورته، والذي إذا أردت أن تجمل وصفه قلت صادقاً - بفراء تخشى معارضا - إنه قوة متحركة جبارة، لا تني ولا تضعف ولا تخشى في العلم أحدا

جاء ديارهم - لا ليفتتح - كغيره - مدارس للعلم وهو لا يدري شيئاً فيها ولا هم له إلا أن يمر عليها أو يشاهد مظاهرها ثم ينقلب مسرعاً من حيث أتى! لا يذر وراءه أثرا، ولا يترك بعده ذكرا - وإنما جاءهم يمثل عصا موسى تفجر الخزائن المصونة، وتستخرج الأموال المدفونة، وتلين القلوب القاسية، وتعصر النفوس العاتية، ليشيد الآثار الخالدة من المعاهد العلمية والكليات الجامعية، وينفخ فيها من روحه لكي تبقى على وجه الدهر، وتؤتى ثمرها في كل عصر. ومعاهد العلم كالشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها. وهل أبقى على وجه الأرض من أماكن العلم وأثبت من صروح العرفان؟

ومن كان يظن أن رحلة صغيرة مثل هذه الرحلة تؤتى مثل هذه الثمرة المباركة؟ ومن ذا الذي يستطيع أن يجمع في يوم واحد من مثل بلادنا المعروفة عن المكارم المغلولة اليد عن الخير - مئتي ألف من الجنيهات ليبني بها معاهد للعلم - وليس في يده قوة مادية، ولا سلطة إدارية! حقا إن هذا لعجيب. ولكنه طه حسين وقوته الجبارة!

ولو أنت شهدت إقليم الدقهلية وحاضرته في اليوم الثاني من شهر مارس سنة ١٩٥١! لبهرك ما ترى، ولأدهشك ما تسمع؛ فقد أخذت الأرض زخرفها وازينت وانبعث الناس جميعا كأنهم في عيد محتشدين على جوانب الطرق التي اتخذها طه حسين لمروره في بلادهم من جنوب الإقليم إلى شماله، لم تدفعهم رجة ولا ساقتهم قوة - كما جرت العادة في مثل هذه الزيارة - ولكن دفعتهم الرغبة المشبوبة بين جوانحهم ليرحبوا به أجل الترحيب، وليؤدوا ما يجب له من مظاهر التكريم، وليسعدوا برؤية موكب وزيرهم الذي ملأ البلاد علمه، وعم الأكوان فضله، وكأن هذا اليوم هو الذي عناه الصاحب بن عباد بقوله:

قدم (الوزير) مقدما في سبقه ... وكأنما الدنيا سمت في طرقه

وما ظنك بما تكن القلوب المخلصة وتظهر الجوارح الصادقة لرجل لا ينفك يعمل للعلم، ويسعى في نشر العلم، ولا يفتأ يرحل في سبيل العلم حتى صدق فيه قول المتنبي:

كل يوم لك ارتحال جديد ... ومسير للمجد فيه مقام

وإذا كانت النفوس كبارا ... تعبت في مرادها الأجسام

وإن هذا اليوم المبارك الذي ازدهت الدقهلية به، ولم تشهد مثله على مد التاريخ كله، له ما بعده، وما بعده إلا العلم ينبعث ضوؤه الباهر لينير هذا الأقليم، ثم يرسل أشعته إلى من حوله ومن يؤمه من سائر الأقاليم

وإن التاريخ ليسجل هذا اليوم على صفحاته ويجعله من

الأيام التي تفاخر الأجيال بمثله، وتتحدث القرون بفضله

فهنيئاً لإقليم الدقهلية بما ظفر من مجد وما نال من فخر، وأهلا ومرحبا بالزائر الكريم في الحل والترحال، وحقق الله على يديه كل ما نصبو إليه من آمال

المنصورة محمود أبوربة

بين شيبوب ومطران

يبدو أن ما كتبته في «الرسالة» عن تفضيل شعر خليل شيبوب على شعر خليل مطران، قد أثار مرارة في بعض النفوس مظاهرها هذه الرسائل الصاخبة التي ألقى إلى بها البريد، وهذه الرسائل الشفوية العاتبة صبتها في أذني السرة صبا

وأحب أن ألقى هؤلاء العاتبين الصاخبين بقول أكثم بن صيفي «إن قول الحق لم يدع لى صديقا» ليفهموا أنى رجل أحمل رأسي على كفى، وليفهموا أيضا أن هذه المجاملات الفارغة هي التي أضاعت تراثنا الأدبي، فنبه الخامل وخمل النبيه، وانحط الرفيع، وارتفع الوضيع

وكذلك شاء القدر الساخر أن يحمل الناشرون والمسيطرون على دور الصحف من خليل مطران «ثالثا» لشوقي وحافظ، وهو لم يلحق بغبارهما، بل إنهم لم يكونوا ينشرون قصائد شوقي وحافظ في صحفهم إلا من خلال نشرهم لقصائد مطران! وكذلك خمل ذكر أحمد محرم ومحمود الكاشف وهما من القدر والمكانة عند أهل الأدب الصحيح في المنزلة العليا والمكان الرفيع!

وبعد، فاننا رجعنا إلى مقال «الرسالة» في خليل شيبوب فلم نعثر على أننا أتينا شيئا إمرا! وكل ما سجلناه هو الحقيقة الواضحة التي لا تخفى على ذى عينين، وإن كانت تخفى على ذوى الوجهين وذوى اللسانين! فان كان أحد من العاتبين الصاخبين يرى غير هذا الرأى: فدونه فليبادر قراءة المقال، ثم ليقرع الحجة بالحجة إن استطاع إلى ذلك سبيلا. وما هو بمستطيع إن شاء الله

أما أولئك الصحب والخلصاء الذين حسبوا أنى قصدت إليهم بتجريح أو نكاية، فحسبي أن يعرفوا أنى أدين بدين الصراحة. وإن وقع في أذهانهم أن اتجاها بعينه هو الذي حملني على أن أقول ما قلت، فما أراهم مرفوقين ولا أدركوا شيئا مما رضنا به النفس في متاهات الحياة!

منصور جاب الله

رسائل بين مصر وملوك المغرب

كتب ملك مصر السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن سنة ٥٨٥ هجرية أحد ملوك المغرب يستحثه على الجهاد.

«فتح الله بحضرة سيدنا أمير المؤمنين وسيد العالمين وقسيم الدنيا والدين، أبواب الميامن وأسباب المحاسن، فقد كان من أوائل عزمنا، وفواتح رأينا، منذ وردنا الديار المصرية مفاتحة دولة سيدنا، وأن نتيمن بمكاتبتها، ونتزين بمخاطبتها.. لكى نمسك طرفا من حبل الجهاد يكون بيد حضرة سيدنا العالية طرفه، فنتجاذب أعداء الله من الجانبين، لاسيما بعد أن نبنا عنه نيابتين، الأولى في تطهير الأرض المصرية واليمنية، والثانية في تطهير بيت المقدس، ممن كان يعارض برجسه تقديسه، ويزعج ببناء ضلاله تأسيسه، وما كان إلا جنة إسلام نخرج منها المسلمون خروج أبيهم آدم من الجنة. فوفقنا الله وما كانت لنا بذلك قوة بل لله القوة، ولا لنا على الخلق منة بل لله المنة»

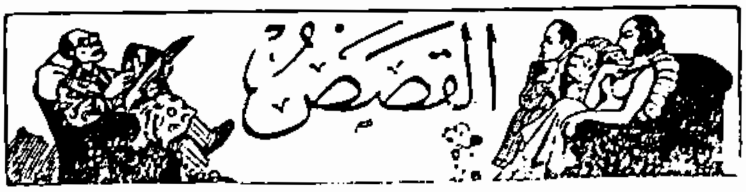
وتحدث عن معركة ثغر عكا مع الإفرنج فقال: «ونزلنا عليهم وعليه فضرب معنا مصاف قلت فيه فرسانه وجندلت شجعانه»..

وذكر عودة الإفرنج في منسلخ الشتاء ومستهل الصيف، بقوله «فلا يؤمن على ثغور المسلمين أن يتطرف العدو إليهم وإليها ويفرغ لهم ويتسلط عليها»

«وإذا قسمت القوة فرعا أضر بالإسلام انقسامها، ولله والعياذ بالله انثلامها»

وطلب إليه أن يبعث بأسطول المغرب ليحاصر صقلية ويصف سفيره بقوله: «أوفدناه إلى باب حضرة سيدنا وهو الداعي السمع والبلغ المقنع، علمناه أمرا يسرا، وبوأناه الصدر فكان وجها، وأودعناه السر فكان صدرا»

ويقول صاحب صبح الأعشى إن رسول صلاح الدين كان



مقهى سوراط

قصة عن ليو تولستوى

للاستاذ رمزى مزيغت

كان فى مدينة سوراط فى الهند مقهى يؤمه خليط من مختلف الأجناس والأديان ، وفى ذات يوم وفد إلى المقهى رجل مهيب الطلعة وفى صحبته عبد أسود يقوم على خدمته وكان هذا الرجل عالماً روحانيا من بلاد فارس قضى جل عمره فى قراءة كتب اللاهوت ودراستها والبحث عن ذات الله وسر وجوده . وكانت نتيجة بحثه أن اختلطت عليه الأمور وأنكر وجود إله يدبر هذا الكون على الإطلاق . ولما علم الشاه بأمره نفاه من البلاد ، فراح يرتحل من بلد إلى بلد حتى انتهى به المطاف إلى هذا المقهى فى مدينة سوراط

طلب العالم لنفسه كوباً من شراب الأفيون بينما جلس العبد على حجر خارج الباب يذب عن أنفه الذباب ولما استقر الأفيون فى جوف العالم وسرى فى عروقه مفعوله ، التفت إلى عبده وسأله :

– قل لى أيها العبد التعس ، هل تؤمن بوجود الله ؟ فقال العبد – نعم أؤمن . ثم مد يده إلى حزامه وأخرج من تحته تمثالا صغيراً من الخشب — وقال هذا هو الإله الذى حرسنى منذ أن ولدت . ونحن جميعاً فى بلادنا نعبد الشجرة التى نصنع منها هذا الإله .

وكان فى المقهى خليط من مختلف الأجناس والأديان فأدهشهم سؤال العالم وجواب العبد ، ثم انبرى لها رجل من أتباع براهما وقال مخاطباً العبد — يالك من تعس أحمق . . كيف تعتقد أن رجلا مثلك يمكنه أن يحمل الله تحت حزامه ؟ ليس هناك إلا إله واحد هو براهما خالق هذا الكون . إن براهما هو الإله الأعظم الذى من أجله أقيمت الهيا كل العديدة على ضفاف نهر الكانج حيث يقوم على عبادته الكهنة الورعون . ولقد مضى على ظهور براهما عشرون ألف سنة جرت خلالها ثورات وثورات ومع ذلك فان شيئا لم يستطع أن يعصف بأولائك الكهنة لأن براهما — الإله الواحد الحق — كان يحميهم طوال هذه السنين

وما انتهى البرهمى من حديثه حتى رد عليه صيرف يهودى قائلا – ما هذا الذى تقوله ؟ إن معبد الإله الحق ليس فى الهند وليس الاله الحق باله الهنود . . وإنما هو إله إبراهيم وإسحق ويعقوب . . وهو لا يحمى إلا بنى إسرائيل شعبه المختار . . وإذا كنت ترانا اليوم مشردين فى أنحاء الأرض فما ذلك إلا لتجربتنا وامتحان إيماننا . . ولقد وعدنا الله أن يجمع شملنا فى القدس مرة أخرى ، ومنها سوف نبسط سلطاننا على العالم بأسره . قال اليهودى هذا وانفجر باكيا وكان يريد الاسترسال فى حديثه فقاطعه مبشر إيطالى كان حاضراً بقوله – إن ما تقوله غير صحيح . . وأنت إنما تنسب الظلم إلى الله بدعواك هذه . فالله لا يفضل شعبا على شعب وإنما يدعو الذين يبتغون الخلاص أن ينتموا إلى كنيسة روما الكاثوليكية إذ أنه لا خلاص لمن لا ينتمى إليها . وكان من جملة القوم قسيس بروتستانتى فساءه

اسمه ابن منقذ ولابد أنه وضع كتاباً عن رحلته . فدليل نقله عنه أنه زار بستانا بجوار فاس يقال له البحيرة علم أن إيراده بلغ كل سنة خمسة وأربعين ألف دينار ، وبه بركة ماء مربعة قاس كل ضلع منها فاذا به مائتان وستة عشر ذراعا وبها ما هو أكبر من ذلك

أحمد رمزى

تصويب لغوى

قرأت فى العدد ٩١٧ من مجلة الرسالة الزاهرة كلمة عن طول العمر وقصره فى البريد الأدبى للدكتور حامد الشوابى وجاء فى ثنايا كلمته (أرأيت إلى من يدهسه ترام) ولم يسمع عند العرب استعمال دهس بهذا المعنى فالصواب أن يقال (داسه) مستعاراً من الدوس بالأقدام ولعل دهسه محرف من دعسه أى وطئه شديدا

بغداد **عبد الخالق عبد الرحمن**

قول البشر وقال له بصوت مرتجف – إن ما تقوله خطأ محض ، فليس الخلاص مقصوراً على اتباع كنيستكم ، بل هو من نصيب كل من يخدم الله مخلصا حسب تعاليم الإنجيل . هكذا قال السيد المسيح

وكان من بين الحاضرين تركى من موظفى الجمرك فنظر إلى هذين المسيحيين شزراً وقال بترفع – إن إعانكم بالديانة المسيحية أصبح باطلاً منذ أن حل محلها الدين الإسلامى الحنيف . إن هذا الدين هو دين الله الحق وليس أدل على صحته من تلك السرعة الهائلة التى انتشر بها فى ربوع أفريقيا وأوروبا وحتى فى بلاد الصين المستنيرة إنه لا خلاص إلا لأتباع محمد آخر المرسلين

وأثار قول هذا التركى ضجة بين الحاضرين فاشتبكوا فى جدال حامى الوطيس . ولم يبق أحد لم يشترك فى هذا الجدال إلا رجل واحد صينى من تلاميذ كونفوشيوس كان قابعا فى ركن من أركان المقهى يشرب الشاى ويصغى إلى ما يقوله المتخاصمون . ووقعت عينا التركى عليه صدفة فاستنجد به قائلا – أراك يا كنتا لا تتكلم ، ولكنى أعتقد أنك فى قرارتك توافقنى على رأيى . فأنتم معشر الصينيين ، على الرغم من كثرة الأديان فى بلادكم ترون أن الديانة الإسلامية هى أفضل الأديان وتعتنقونها عن طيب خاطر . فهلا أتحفتنى أبنت لنا عن رأيك فى الله وفى رسوله ؟ نهتف الجميع قائلين – نعم ، نعم ، أسمعنا رأيك فى الموضوع . . فأغمض تلميذ كونفوشيوس عينيه وفكر قليلا ثم فتحهما وطوى يديه على صدره وقال بصوت هادئ رزين :

« يبدو لى أيها السادة أن التعصب أو العصبية وحدها هى التى تحول دون اتفاق الناس فى أمور الدين . سأروى لكم قصة توضح ما أعنيه

« لقد قدمت هذه البلاد على ظهر باخرة إنكليزية ومررنا بطريقنا على مختلف البلدان . ولما وصلنا إلى جزيرة سومطرة نفد منا الماء فنزلنا إلى الشاطئ لنتزود بحاجتنا منه . وكان الوقت ظهرا فجلسنا تحت ظل أشجار جوز الهند على مقربة من إحدى القرى . وكنا خليطا من مختلف الأجناس . . ولم نلبث قليلا حتى اقترب منا رجل أعمى علمنا فيما بعد أنه فقد بصره لكثرة ما كان ينظر الى الشمس لمعرفة كنهها وكيفية انبثاق النور منها. فكانت نتيجة بحثه فقدان بصره وعقله فى آن واحد . وجلس الأعمى الى جوارنا وأخذ يحدث نفسه بصوت مرتفع – إن نور الشمس لا يمكن أن يكون سائلا وإلا كان من الممكن صبه من وعاء الى آخر . وهو لا يمكن أن يكون ناراً وإلا أطفأه الماء . ولا يمكن أن يكون الضوء روحا لأنه يرى بالعين . كذلك فهو ليس مادة لأن المادة يمكن تحريكها . وما دام ضوء الشمس ليس سائلا ولا ناراً ولا روحا ولا مادة فهو إذن « لا شئ » . وكان فى رفقة الأعمى خادم ، وكان منصرفا عن حديث سيده الى عمل مصباح من جوزة الهند ، ففتل فتيلا من قشرتها وعصر الزيت من اللب وصبه فى القشرة وأدلى الفتيل فيها . والتفت اليه الأعمى بعد قليل وقال – قل لى أيها العبد ، ألم أكن محقا حين قلت لك إنه لا وجود للشمس ؟ ألا ترى هذا الظلام يلف العالم برداءه ؟ ومع ذلك فإن الناس يزعمون أن الشمس موجودة . . فإذا كانت موجودة فعلا فما هى وما كنهها ؟ فرد عليه الخادم بقوله – أنا لا أعرف ما هى الشمس ولا يهمنى أن أعرف ، فليس هذا من شأنى . ولكنى أعرف ما هو النور وها أنا قد صنعت مصباحا أستطيع على ضوئه أن أقضى لك حاجاتك عندما يحل الظلام . قال هذا ثم رفع المصباح بيده وقال – هذه هى شمسى . وكان الى جوارنا رجل أعرج فلما سمع ما دار بين الأعمى وخادمه انفجر ضاحكا وقال مخاطبا الضرير : يبدو لى أنك ولدت أعمى وإلا لعرفت ما هى الشمس . إن الشمس يا صاحبى كرة من نار ترتفع كل صباح من البحر ثم تعود فتتوارى بين جبال جزيرتنا كل مساء . إن كل سكان الجزيرة يعرفون ذلك ولو كنت مبصراً لأمكنك التحقق بنفسك من صدق الخبر

وما انتهى الأعرج من كلامه حتى انبرى له صياد سمك قائلا – يظهر لى أنك لم تغادر جزيرتك هذه قط . فلو أنك لم تكن أعرج وطفت البحار مثلى فى قارب للصيد لعرفت أن الشمس لا تغرب بين جبال جزيرتنا أبدا ، ولأدركت أنها كما تشرق من البحر كل صباح فهى تغرب فيه كل مساء . وثق أن تصدق ما أقول لأنى أرى ذلك بعينى كل يوم

وكان بيننا هندى من عبدة الشمس فقاطعه قائلا – يدهشنى أن أسمع شخصاً عاقلا مثلك يهذى بهذا الكلام . كيف يجوز

أن تنطفىء كرة من نار فى السماء دون أن تنطق . إن الشمس ليست كرة من نار قطعا وإنما هى الإله المعروف باسم (ديفا) الذى يركب عربته ويدور بها باستمرار حول جبل فيدو الذهبى ويحدث فى بعض الأحيان أن تهجم عليه الحيتان اللعينتان (راجو) و (كيتو) وتبتلعانه فيسود الأرض الظلام . فينصرف الكهنة إلى الصلاة لخلاص الإله فلا يلبث أن تقذفه الحيتان ويبدد ضوءه الظلام من جديد . إن الأغبياء الجهلة من أمثالك الذين لم يبرحوا جزيرتهم قط ، هم الذين يعتقدون أن الشمس لا تضىء إلا بلادهم وحدها فقط . وهنا انبرى للهندى ربان سفينة مصرى كان معنا وقال له — إنك مخطىء أيضاً . إن الشمس ليست إلها ولا هى تدور حول الهند وجبلها الذهبى فقط . لقد طوفت أنا فى مختلف البحار ومررت بجميع البلاد وكنت أرى الشمس فى كل مكان . فهى لا تدور حول جبل معين ولكنها تشرق من أقصى الشرق وراء جزر اليابان وتغرب فى أقصى الغرب وراء الجزر البريطانية. وكان المصرى يرغب فى مواصلة حديثه لولا أن قاطعه بحار إنجليزى من سفينتنا بقوله — ما من بلد تعرف عن الشمس وحركتها اليومية أكثر من بلاد الإنجليز . فنحن معشر الإنجليز نعرف أن الشمس لا تشرق من أى مكان وإنما هى تدور حول الأرض باستمرار . وكل من معى فى هذه السفينة يمكنه أن يؤكد لكم هذه الحقيقة . فلقد طوفنا بجميع أطراف العالم ومع ذلك لم نصطدم يوما بالشمس فى أى مكان . بل كنا أنى اتجهنا نجدها تشرق فى الصباح وتغرب فى المساء كما هو شأنها هنا فى هذه الجزيرة . قال البحار هذا والتقط عصا وأخذ يرسم على الرمل أشكالا يشرح بها حركة الشمس فى قبة السماء ولكنه لم يستطع أن يوفى الشرح حقه فالتفت إلى ربان السفينة الإنجليزى وقال — إن هذا السيد يعرف عن الشمس أكثر منى وهو يشرح لكم أمرها . وكان الربان طيلة الوقت ساكتا يصغى إلى ما يقال فلما طلب اليه البحار أن يتكلم واتجهت إليه الأنظار تنحنح وقال — الواقع انكم تضللون بعضكم بعضا وجميعكم مخطئون . إن الشمس لا تدور حول الأرض وإنما الأرض هى التى تدور حول الشمس وهى تدور فى الوقت نفسه حول نفسها مرة كل يوم وبذلك يتعرض كل بلد على سطحها لضوء الشمس على التعاقب . فمخطىء من يقول إن الشمس لا تضىء إلا جبلا واحدا أو جزيرة واحدة أو بحرا واحدا . فهى فى الواقع تضىء كل الكواكب ومن جملتها الأرض التى نعيش عليها . ولو أنكم نظرتم الى السماء متأملين لا تضحت لكم حقيقة الأمر ولما عدتم إلى القول بأن الشمس تضىء لكم وحدكم أو لبلدكم دون غيرها .. وتوقف تلميذ كونفوشيوس قليلا عن الكلام ثم استطرد — وكذلك الأمر أيها السادة فى أمور الدين ، فإن الكبرياء أو التعصب وحده هو سبب هذه الخلافات بين الناس ، والذى ينطبق على الشمس ينطبق على الله .. فكل واحد يريد إلها خاصا به أو إلها خاصا ببلده على الأقل .. وكل أمة تريد أن تحصر فى معابدها الخاصة ذلك الإله الذى لا يتسع له الكون بأسره .. هل هناك من معبد يضاهى ذلك المعبد الذى صنعه الله ليجمع الناس فيه على دين واحد لا غير .. ؟ إن جميع معابد البشر قد بنيت على نمط معبد الله الأكبر ، ولكل منها حوض وقبة ومصابيح وصور وتماثيل ومخطوطات وأنظمة ومذابح وكهنة . . ولكن أى حوض من هذه الأحواض يضاهى حوض الأوقيانوس؟ وأية قبة تضاهى قبة السماء ، وأين هذه المصابيح من الشمس والقمر والكواكب .. وأين تلك التماثيل الجامدة من بنى البشر الأحياء الذين تربط بينهم المحبة والتعاون . وأين قوانين البشر من قوانين الله ، وأية تضحية أعظم من تضحية بنى البشر المحبين بعضهم لبعض ، وأى مذبح اعظم من قلب الرجل الطيب المؤمن ؟ ان المرء كلما تعمق فى فهم الله ازداد به علما ، وكلما ازداد علما به ازداد منه قربا وبات مثله حنونا طيبا ومحبا لأخيه الإنسان . فليكف إذن من يرى ضوء الشمس يغمر الكون بأسره عن لوم ذلك الأحمق الذى قصد به عماه عن أن يرى سوى شعاع واحد من ذلك الضوء الباهر . وليكف أيضا عن احتقار الكافر الذى فقد بصره ولم يعد يرى الشمس المنيرة

بهذا خاطب الصينى تلميذ كونفوشيوس — رواد المقهى — فسكت الجميع وأفحموا ، وكف كل منهم عن الادعاء بأن دينه أفضل الأديان

رمزى مزيغيت